

سلسلة التراث

رسالة ابن فضلان

في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والهند والروم والصقالبة

سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد



مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

رِسَالَةُ الرَّابِضِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ

فِي وَصْفِ الرَّحَلَةِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالرُّبُوسِ وَالصَّقَابِلِ

سَنَةِ ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

مَقْفُودَةً عَلَى غَيْرِهَا وَفَسَمَّاهَا

الدُّكْتُورُ سَامِي الدَّهَّانُ

عَظِيمُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ



الإهداء

إلى روح المرموم العلامة الرئيس محمد كرد علي
ذكرى خالدة على الزمان
وأكباراً للأباد به على العربية

محمد سامي الدهان

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في صيف سنة ١٩٥١ ، زرتُ أستاذنا العلامة الرئيس الجليل محمد كرد علي — رحمه الله وطيب ثراه — في بيته بدمشق ، وكان يتصفح المجلات والصحف التي ترد إلى المجمع العلمي ، يطلع على ما فيها ويقرأ مقالات المستشرقين والعلماء العرب لا تفوته صفحة أو إشارة ، فإذا به يدفع إليّ مجلة هنغارية ، صدرت في بودابست قبل شهر ، وفيها مقالة بالألمانية عن رحلة ابن فضلان ، كتبها أحد المستشرقين معلقاً على ما نشر أو ترجم من الرحلة ، يصحح ما يرى من وجوه التصحيح ، ويقترح روايات جديدة ، مشيراً في ذلك إلى نص الرحلة بالعربية وقد أثبتته في صور شمسية مع المقال .

قلبتُ المجلة بين يدي ، ورددتها إلى أستاذنا الفقيه ، ولم أدرك سرّ توجيهي إلى المقال ، فإذا بالرئيس يحدثني عن أهمية هذه الرسالة وعن حاجة المثقفين العرب إلى قراءتها وفهمها ، واستخراج العبر منها ، واكبار الأجداد في همتهم وسعيهم وثقافتهم ، فهي نصف بلاد الروس والبلغار والأتراك في القرن العاشر للميلاد ،

وصفاً لا يكاد يقع إلا في هذا المصدر ، والروس أنفسهم عادوا إليه وقرؤه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مئة عام ، وجعلوه في مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لاغنى عنه . وهم ما يزالون منذ سنين عديدة يعودون إليه ، في مقالات وفي دراسات ، ليزدادوا به فهماً ومعركة ، فقيه أسماء وأعلام ، وفيه ألبسة وأطعمة ، وعادات وتقاليد ، تكشف رموزها وإشاراتنا عن أشياء جديدة كلما أنعم المستشرقون نظرهم في قراءة النص وفي تقليب غوامضه وحل مشكلاته .

وهذه الدراسات والمقالات وصل إلينا بعضها ، وضل السبيل بعض آخر ، فلم يعرف أكثر العرب ما كان من هذه الذخيرة الدفينة ولم يقفوا على أثرها في أدب القرن الرابع للهجرة ، بل في آدابنا كلها ، وذلك لأن أقساماً من الرحلة طُبعت في الغرب ، وترجمت ، ولكن هذه الطبعات لم تصل إلى خزائننا العربية العامة ، بله خزائن الأفراد فهي على هذا مجهولة لم تر النور في مطابعنا العربية وهي نادرة الوجود .

وهنا حثني الرئيس الجليل - رحمه الله - على العناية بها وإخراجها كاملة وتحقيقها والتعليق عليها . فقررتُ بالثقة ، وظننت أن الأمر هين لين ، وعدتُ من دار الرئيس بالغنيمة كما كنتُ أعود دائماً .

فلما أقبلتُ على الصورة الشمسية أقرؤها ، وأنعم النظر في عباراتها ، وقفتُ طويلاً دون الفهم ، وتعثرت طويلاً في التخريج ، وأدر كني بعد الإعادة والتكرار يأس من فهمها ونشرها ، وعرفت سبب عزوف الناشرين العرب عن تحقيقها ،

فهي نسخة مفردة وحيدة بقيمة مصحّفة أشدّ التصحيف ، مبتورة في كثير من تعابيرها ، تفصّ بأسماء الألبسة والأعلام والأماكن ، فكان كل كلمة من كلماتها موضع الرية والشك ، تحوج إلى المراجعة والتثبت والتعليق . وكدت أنصرف عن العناية بها ، لولا أن صديقي المستشرق « نيكيتا أليسييف »^(١) - وهو يجيد الروسية - أرشدني إلى المصادر الروسية والألمانية ، وأرادني كذلك على المضى في العناية بها ، وقد كان هو نفسه يعنى بها كرسالة للدكتورية ، فاذا به ينصرف عنها إلى غيرها ، ويعلق على الأمل في إخراجها .

ولقيتُ بعد ذلك في كبريج المستشرق الانكليزي (دنلوب) فحدثته في أمرها ، فإذا هو معنيٌ كذلك بتوضيح بعض ما فيها ، وإذا به يدفع إليّ مقالاً نشره في التعليق على بعض عباراتها ، مما يخصّ قبائل الترك فيها ، فرجعتُ إليه وأفدتُ منه ، ولكنه يلمّ بناحية واحدة من نواح ما تزال غامضة صعبة .

وحين زرتُ جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ١٩٥٤ قدّم إليّ الأستاذ « ريتشارد فراي » رسالة وقّعها مع صديقه الأستاذ « بلاك » ، وجعلها في التعليق على مافي رسالة ابن فضلان كذلك ، وخصّ عنايته بتصحيح بعض كلمات في أوراق معدودة من الرسالة .

وفي السنة نفسها أبلغني سيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك شرف اختياري في الوفد المجمعى إلى الاتحاد السوفياتي ، بدعوة من أعضاء المجمع

العلمي هناك ، فكان أول همي أن أفوز بنسخة من الرسالة مترجمة إلى الروسية مع التعليقات ، وقد تفضل علي بها الأستاذ (ف . يلايف) ، مشكوراً ، وفيها الصورة الشمسية الواضحة لرسالة ابن فضلان ، وكانت تعليقاتها منارة لي وهدى . وعكفتُ منذ ذلك الحين على هذه الرسالة أقرأ سطورها الغامضة وعباراتها الناقصة ، وأقابلُ ما فيها على ما نقلَ ياقوت الحموي وما أورد غيره من الجغرافيين العرب ، حتى تمَّ لي انجازُها وأنا على مثل الشكِّ في بعض عباراتها ، فإنْ خَلَّتْ من الأخطاء فقد سدَّ الله خطاي ، وإنْ أصابني فيها بعضُ العِثَارِ فالمعذرة من يؤمن بضعف الانسان عن إدراك الكمال ، والفضلُ الأول للرئيس المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ، فقد هياَ بعثها ونشرها لأول مرة في الدنيا العربية ، والفضل كذلك لسيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك ، أطال الله في عمره^(١) ومتعه بالصحة ، فهو خير خلف لخير سلف ، رحب بالرسالة كما رحب سلفه ، فجعلها في مطبوعات مجمعنا العلمي ، مشكوراً .

فالحمد لله الذي أعان على إتمام تحقيقها وتقديمها على هذا الوجه وله الشكر والدعاء في البدء والختام .

(١) لقي الأستاذ الجليل وجه ربه خلال طبع هذه النصفحات ، فأورثنا حسرة وحزنًا وفراغًا لا يموض

الفصل الأول

رحلة ابن فضلان

كتب الرحلة في العصر – حال العصر – الوفد والخطبة –
وصف الرحلة وأهميتها .

رعدة ابن فضال

كتب الرعدة في العصر

يبدو أن الشعب العربي كان مفطوراً على حب الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أنباء متواترة عن تنقله وأسفاره ، في سبيل الرزق والتجارة والمعرفة . زار كثير من أفراد بقاعاً وأقاليم بعيدة ، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبشة ، وطوّف كثير من أبنائه في بلاد نائية ، فكأنه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك . وقد كان للقبائل رحلات ، وللأفراد أسفار ، ذكر بعضها في الشعر ، فكانت رحلات الشعراء إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم حتى لقد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة . وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء .

ولما جاء الاسلام اندفع الشعب العربي إلى خارج الجزيرة وبلغ في عصر واحد تخوم المشرق والمغرب ، فعرف بلاداً كانت في قمة الحضارة والرقى ، أخذ عنها ، وأفاد منها ، فأدخل منها في حياته وعيشه وملبسه ما أدخل ، ووقف عند

مستوى حضاري رفيع ، ظل يرقى به ، ويحافظ عليه ، حتى تحدرت من حوله الأمم وسقطت همتها في الرقي ، وبقي وحده منارة وينبوعاً ، تستنير بهديه الشعوب في حلحلة حياتها وظلمة انحدارها .

وما أشرق القرن الثامن للميلاد حتى كان للعرب ملك فسيح الرقعة في امبراطورية عريضة ، حدودها تخوم الهند في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال القوقاز في الشمال وصحارى افريقية في الجنوب .

وكانت ادارة هذه الامبراطورية تفرض أموراً كثيرة منها معرفة الجزية والخراج ، فقد كان معظم الولايات تعدّ الخليفة العباسي رئيسها الديني ، تؤدي إليه الأموال ، فبعض باسم الضمان ، وبعض باسم المصالحة ، وآخرون باسم الهدية ، وكانت هذه الأموال تقوم بكثير من نفقات الخلافة ، وتعزّز السلطان وتحفظ مهابته وكيانه . فكان من أوجب الأمور لمعرفة الجباية وجمع الأموال أن يعرف الحاكمون حال المسالك والممالك ، والبلاد والأقاليم ، وأن يقوم بوصف ذلك رجال وقفوا كثيراً من وقتهم على الرحلة وتسقّط المعلومات والأخبار ، فنشأت كتب الرحلة ، وظهرت كتب الجغرافيا ، على نمط قريب مما ألف اليونان في هذا الباب .

ومنذ القرن الثالث الهجري ، كثرت المؤلفات في المسالك والممالك فألف المصنفون في الأقاليم والتقسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار ، فكتب الكندي وابن خردادبة ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه

الهمذاني، وابن رسته، وابن حوقل، والاصطخري وغيرهم، ووصفوا بلاد المشرق والمغرب من الصين إلى الأندلس، وذكروا حال الشعوب وتقاليدها وعقائدها ووصفوا حال البلاد وطرقها وحاصلاتها وخراجها على الوجه الذي تم لهم. فبلغ بعضهم إلى الدقة والتوفيق حين سجل ما رأى، ونقد ما سمع. وفشل بعضهم في جمع كل ما طرق سمعه من أخبار لا يكاد العتل يصدقها. ولكنهم على كل حال كانوا صورة لما يدور في حلقات العلم والمعرفة لعصرهم من آراء ومعلومات وأخبار قد نقف أمام بعضها موقف الشك والنقد، بعد عشرة قرون أو تزيد، وقد توفرت لنا سبل عديدة لم تكن متوفرة لذلك الزمان، فأصبح رسم الدروب والمناطق ووضع الخرائط والمصورات بحثاً علمياً مستقلاً في أبعد حدود الرقي، وغدت الرحلة والتنقل والمشاهدة على أيسر ما يستطيع الإنسان أن يفعل، ولكن الفضل أبدأ للمتقدم، والموازنة المُنصفة تقتضي أن نذكر ما بين زمانهم وزماننا من وسائل ووسائط وطرق.

والحق أن بعض هؤلاء المؤلفين رأى بنفسه وعين وشاهد — كما قلنا — وكان على إلمام بما يرى، فقد كان ابن خرداذبة عاملاً للبريد والخبر خلال أواسط القرن الثالث للهجرة، في نواحي الجبل من أرض فارس، وقال المقدسي إنه رحل وسافر وأنفق في أسفاره ما يزيد على عشرة آلاف درهم. وقال ابن حوقل إنه شاهد كل ما كتب عنه وعيانه إلا الصحراء الكبرى، وعن المقدسي وابن حوقل أخذ أكثر الجغرافيين.

ولكننا نلاحظ أن هذه الكتب في مجلتها قد أوجزت حين رسمت أحوال الشعوب وتقاليدها ، وملابسها ، فجعلت حصتها من الصفحات كنسبة رقعتهما من الأرض ، لم تبتسط ولم تفصل الأمر . ولعلها كانت تنظر قبل كل شيء إلى الخراج والمال ، وإلى صلة هذه الأصقاع بعاصمة الخلافة ، فقد بدأت هذه الامبراطورية العربية تفقد وحدتها السياسية منذ انتصف القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت روابط الدين والثقافة وحدها جامعة لشمول هذا الملك الواسع ، ولم أطرافه . وقامت صلات التجار مقام السفراء الاقتصاديين اليوم ، فنهض المسلمون إلى أطراف الأرض ينقلون البضائع ويشترون السلع ، وبلغوا إلى أقصى بحار الصين وسواحل البلطيق والأندلس والأطلسي وجزر المحيط الهندي ، وخلفوا في هذه الممالك نقوداً وآثاراً ، يكتشفها الباحثون يوماً بعد يوم ، وعليها أثر هؤلاء التجار .

وذكر المقدسي في كتابه ، أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الأوربية الشمالية ، عدداً منها الجلود والفراء والشمع والقلائس والعسل والسيوف ، وقال أنهم كانوا يستجلبون الرقيق من الصقالبة . والصقالبة في عرفهم كانت تشمل السلافيين والجرمان وبعض سكان أوربة . وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار إلى الأقاليم النائية ، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه .

تلك كانت رحلات التجار ومساعدتهم الفردية، وكانت السلطات والحكومات

تَبْعَتْ بوفودها - كما نقول اليوم - إلى الأقطار والممالك ، وتحملها مسؤوليات ومهام تقوم بها ، إماً سياسية ، أو ثقافية ، أو دينية ، أو تجارية ، أو استطلاعية خالصة . ومن هذه الوفود بعثة برية أرسلها الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ) إلى سدّ يأجوج ومأجوج ، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، حفظ منها ياقوت الحموي في معجمه على لسان « سلام الترجمان » ، ما يحسّن الرجوع إليه والتفكّه بنوادره ، والوقوف على عقلية الرحالين في ذلك الزمان . ومنها كذلك وفد أرسل إلى الصين أيام المحدثات بين السامانيين وملك الصين ، وفيه أبو دلف وصف الرحلة وصفاً بديعاً . ومن هذه الوفود الرسمية بعثات جاسوسية من الرجال والنساء كانت تستطلع الأخبار ، كما حدّث ابن حوقل عن عهد هارون الرشيد أنه أرسل رجلاً يتجسس الأخبار من بلاد الروم عشرين سنة وكان سأل هارون الرشيد عن عجائب الأمور ، فكان يخبره .

ونحن لا نطمح في هذه المقدمة أن نستقصي أخبار الرحالة^(١) المسلمين وأسماء الوفود الرسمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ووصف ما وقع منهم وما تركوه من كتب ، فذلك كثير واسع . . ولكننا أردنا أن نهمّد للحديث عن هذه لرحلة ، ونبسط أهميتها ، ونرسم عاصمة الخلافة ، وتحدّث عن ابن فضلان ورحلته .

(١) للدكتور زكي محمد حسن كتاب في الرحالة والرحلة يحسن الرجوع إليه ، عنوانه « الرحالة المسلمون

في المصور الوسطى » رقم ١٩٤٥ .

مال العصر

ذكر المؤرخون أن المقتدر بالله أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد ، بويح بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، وقال عنه ابن الطقطقي ^(١) إنه كان سمحاً كريماً كثير الإنفاق ، أكثر من الخلع والصلوات وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان ، وكانت خزينة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . وذكر أن دولته كانت ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورُها على تدبير النساء والخدم ، وهو مشغول ببلذته فخرت الدنيا في أيامه ، وخت بيوت الأموال ، حتى قال بعض المؤرخين إنه أنفق سبعين مليون دينار ضياعاً وتبذيراً ، ما عدا نفقات الدولة ، فقد اضطر في استرضاء الجند والغلمان أن يبيع ضياعه وفرشه وآنية الذهب ، وقد خلع وأعيد ثم قُتل ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق سنة ٣٢٠ هـ . وقد استوزر هذا الخليفة أبا الحسن علي بن الفرات ، وكان من أجل الناس وأعظمهم ، ثم استوزر علي بن عيسى بن الجراح ، وحامد بن العباس . وهؤلاء الثلاثة كانوا من ألمع الوزراء وأقوام في تدبير الملك ، ولكن الفتن الداخلية والخارجية سدت عليهم سبيل العمل المثمر ، فحالف المملكة سوء الحظ ولولا ذلك لكانت خلافة المقتدر من أجدى العهود على الناس ، وعلى الرغم من هذا قام الوزراء بأعمال كثيرة بسط أمرها المؤرخ الصايي في كتابه « تحفة الأمراء »

(١) انظر العنبري . ط . أوربة ص ٣٠٥ .

في تاريخ الوزراء»^(١) وفصله تفصيلاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد يرغب في دراسة العصر والحكم وحال الشعب .

والذين يريدون أن يقفوا على حال الخلافة وهيئتها وسمعتها في الخارج - كما نقول اليوم - يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التاريخ ليروا إلى أي مدى كان الوزراء يطمحون في إعلاء شأن الحكم وإظهار حال السلطان . فقد بسط ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم »^(٢) حادثاً نجب أن ثبته هنا ، لنصور حال بغداد وحكومتها سنة ٣٠٥ للهجرة أي قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان قال مسكويه : « ودخلت سنة خمس وثلاثمائة : وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام ، على طريق الفرات بهدايا عظيمة وأطاف كثيرة ، يلتمسات الهدية . وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم ، فأنزلا في دار صاعد بن غلدة . وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعدّ فيه كل ما يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف ، وأن يقام لهما ولهنّ معها الأتزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة ، حتى يتسع بذلك كل من معهما .

« والتمسا الوصول إلى المقتدر بالله ليلغاه الرسالة التي معها فأعلمنا أن ذلك متعذر صعب ، لا يجوز إلا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدنا إليه ، وتقرير الأمر معه ، والرغبة إليه في تسهيل الأذن على الخليفة ، والمشورة عليه بالاجابة إلى

(١) ضبع هذا التاريخ المستشرق آمدروز في بيروت سنة ١٩٠٤ ، وأعيد طبعه بهر بعد ذلك .

(٢) تجارب الأمم لمسكويه ، طبع آمدروز ، بمر ١٩١٤ ، ٥٣ / ٥٠ .

ما التمسنا . فسأل أبو عمر عدي ابن عبد الباقي الوارد معهما من الثغر أبا الحسن ابن الفرات الأذن لهما في الوصول إليه ، فوعده بذلك في يوم ذكره له .

« وتقدم الوزير بأن يكون الجيش مصطفاً في دار صاعد الى الدار التي أقطعها بالخرم ، وأن يكون غلماناه وجنده وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه ، وبسط له في مجلس عظيم مذهب السقوف في دار منها ، يعرف بدار البستان ، بالفرش الفاخر العجيب ، وعلقت الستور التي تشبه الفرش ، واستزاد في الفرش والبسط والستور ، ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر ، إلاّ فعل . وجعل على مصلى عظيم من ورائه مسند عال ، والخدم بين يديه ، وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، والقواد والأولياء قد ملأوا الصحن . ودخل إليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ماهاهما . »

وتابع مسكويه وصفه المفصل البديع ، فرسم الرواق والرجال قد امتلأت بهم الدار ، وصحن البستان ، والمجلس الذي جلس فيه الوزير ، وذكر أن معهما المترجم يصف لهما ويشرح ، وأنها جاء في طلب الفداء فوعدهما الوزير ، والتمس لهما مقابلة يوصلهما فيها إلى الخليفة ، فلما كان اليوم المرسوم اصطف الجند من دار صاعد إلى دار السلطان فوققوا في الزي الحسن والسلاح والتام « وتقدم بأن تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح » ووصف مسكويه كيف أخذ الرجال من ممر يفضي إلى صحن ، ومنه إلى ممر فصحن ، يخرجقان

الصحنون والممرات حتى كلاً من المشي وانبهرأ ، لكثرة الرجال والسلاح ، ثم أُدخلا على الخليفة المقتدر .

وكان المقتدر جالساً على سرير ملكه ، وحوله الأولياء وقوف على مراتبهم فلما دخلا قبلاً الأرضَ ووقفأ حيث استوقفهما الحاجب ، فأديا الرسالة ، فأجابها عنه الوزير وانتهت المقابلة . فلما خرجا من حضرة خلع عليهما مطارف خزّ وعمائم خزّ . وأطلق على القواد الشاخصين من بيت المال مائة ألف وسبعون ألف دينار . وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما ، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد ، وتمّ الفداء .

ولعلنا أسهبنا في الرواية والنقل والتلخيص ولكننا أردنا أن نرسم حال بغداد والخلافة والوزراء ، والجند ، والمراسم ، قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان وخروجه من بغداد ، وأن نصور البلد الذي خرج منه في حضارته وعمرانه وزّيه وتقاليده وأن نشير إلى الغنى والثروة والجاه والمنعة والقوة وبراعة التمثيل ، مما يبرز أعرق الممالك في الحفاظ على التقاليد القديمة من دول أوربة اليوم . فما نظنّ أن واحدة منها تقف اليوم في مراسمها من الجند واللباس والفرش وتوزيع المال والاغداق ، لما كانت تفعل بغداد منذ عشرة قرون . بل اتنا لا نكاد نرى سيلاً للموازنة في اصطناع الهيبة وإنظار السفراء وبهر أبصارهم بين ماكانت عليه بغداد وماهي عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب .

وسنرى أثر هذا كله عند ابن فضلان ، فهو بعد أن عرف ما في عاصمته

ومملكته من ترف وحضارة ، أصبح يستصغر أحوال الممالك التي رآها ، وخاصة أوربة الشمالية ، فرسمها رسماً غريباً ، يشعرنا بأنه كان ينظر إليها في عجب كما ينظر بعض سفراء الغرب اليوم إلى من يسمونهم بسكان الممالك المتخلفة . وهذا أوان الحديث عن الرحلة وصاحبها .

الوفد والخطبة

رسمنا جانباً من حال الخلافة والخليفة ، لننتهي إلى أن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة ، يتهافتُ الملوك والأمراء عليها ليعقدوا معها أجل الصلات وأوثق المحالفات . حتى أنَّ « الصقالبة » وهم من سكان الشمال في أوربة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان »^(١) اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، قد طلبوا عون الخلافة ومساعدتها . فقد ذكر ابنُ فضلان أن ملكهم « ألمش ابن يلطوار »^(٢) طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الإسلام ، وتبني له مسجداً ، وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له . وقد بسط ابنُ فضلان أمراً هؤلاء المخالفين

(١) عاصمة البطار المتهمة ، على ستة كيلومترات ونصف من نهر الفولغا .

(٢) ذكرنا في حواشي النسخة ثلث النسخ في رسم الاسم ، فقد وضعه مرة باسم الحسن بن بطوار ، ومرة أخرى باسم « ألمش بن بطوار » وقد قام المستشرقون كثيراً حول تحقيق التسمية ، فافترضوا بطلان لأن تاريخ روسية لذلك الزمان لا يثبت التفاصيل ، ولا يعنى بها ، بل لا يعرف تاريخاً واسعاً ، فالغرب مصدر هام من مصادرهم ، وخاصة هذه الرسالة .

فقال إنهم ملوك الخزر وهم من اليهود ، كانوا يعتقدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالية ويتزوجها غصباً ، والخزري يهودي ، وابنة الصقلي مسامة . وقد رأى ابن فضلان أن مملكة الصقالية واسعة وأموالها جمّة وخراجها كثير فسأل الملك عن سبب استنجاهه بخليفة المسلمين فأجاب بأنه يتبرك بأموال المسلمين ويعتزّ بدولتهم^(١) .

وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيئة الخليفة ، ويرسم مكانة السلطان في أوربة آنذاك ، وخاصة حين يستنجد به ملك لمملكة واسعة ، ويسعى معه إلى حاف ثقافي ديني عسكري ، كما نعبّر عن ذلك اليوم .

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس^(٢) أو كلاهما معاً — فقد كانت سنّ الخليفة سبعاً وعشرين سنة — ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالية يسعى لها وهو « عبد الله بن باشتو الخزري » وعجيب أن يرسل الصقالية رجلاً خزري الأصل ، ولعلمهم اختاروه لمعرفة اللغة العربية ، أو لثقتهم به وبحسن إسلامه .

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم سوسن الرسي مولى نذير الحرمي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلاي ، وأحمد بن فضلان ، ومعهم دليل هو رسول الصقالية . ويُخيل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان

(١) الرسالة بالورقة ٢٠٩ ظ .

(٢) في الرسالة أن ابن فضلان حمل كتابين من الوزير ومن الخليفة معاً .

الروسية ، فالأول (سوسن) يبدو في نسبه من بلاد الروس قد استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن اسلامه وتقدمت به مراتبه^(١) والثاني بارس الصقلاي واسمه ونسبه ديلان على أصله^(٢) . وأما الثالث فهو تركي الأصل يجيد لغات الأتراك التي يمر ببلادها الوفد في طريقه إلى القولغا ، وقد كان حدادا في خوارزم ، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار وهو الذي أقنع نذير الخرمي بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر بالله - فيما تقول الرسالة - وأما الرابع أحمد بن فضلان فهو فيما تعلمنا الرسالة يجمل اللغات الأجنبية ، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشرعة الاسلامية ، وإليه فيما رأينا رئاسة الوفد وقيادته ، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء ، وهو نفسه يقول^(٣) : « فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه ، وتسليم الهدايا ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين » . وقد علمنا من الرسالة أن الوفد سيحصل على المال اللازم للفقهاء والمعلمين ولبناء الحصن من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق^(٤) ، وقد خلع قبلها ، وصودرت أملاكه ووزعت جراياتها ، وجعلت للدولة تُنفقها كما فعلت في نفقات هذا الوفد . وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال : « الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام » ولعلمهم في مرتبة الملحقين المعاوين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم (بالورقة ١٩٩ و) .

(١) كان حاجب المكنتي في يبدو - انظر التعليقات الآتية .

(٢) بارس الحاجب قائد وثر . وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان ، كما في التعليقات .

(٣) الرسالة بالورقة ١٩٧ هـ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات من أجل الناس ، وزير للمقتدر ثم خلع ، وتفصيل أمره في التعليقات الآتية .

وقد حل الوفد فيما حل « أدوية » كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الحرمي وهذه شهادة أخرى على تقدم المملكة العباسية ، وغنى حضارتها ، ووفرة الأدوية عندها ، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك .

وصف الرملة

وفي الرسالة تفاصيل دقيقة على ايجازها وقصرها ، تحدّد لنا تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها ، وتتيح لنا أن نرسم الطريق الذي مرت فيه ، والأوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر أو مفازة .

فقد رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (الموافق ٢١ حزيران ٩٢١) وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً بأقليم الجبال ، فهذان فالرّي قرب طهران اليوم ، وعبر نهر جيحون ، فبلغ الى بخارى ، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا ، عند ملك الصقالبة ، يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ هـ (الموافق ١١ أيار ٩٢٢) ، فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب ، لاقى خلالها مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء .

فقد ذكر أنه تنكر في القافلة قبيل نيسابور خوفاً على نفسه ثم دهمه الشتاء في الجرجانية على نهر جيحون ، فإذا باب من الزمهريز قد فُتح ، وإذا الريح عاصف شديدة ، فإذا خرج من الحامّ الى البيت جمدت لحيته فأصبحت قطعة واحدة من الثلج ، وإذا هو يبيت في بيت داخل بيت ، ويتدثر بالأكسية والفراء ، ومع ذلك

يلتصق خدّه على المحدة لشدة البرد . وحين أوغل في بلد الترك لقي الضر والبرد حتى أشرف على التلف فيمن معه . ولقيه واحدٌ من قطاع الطرق فأوقف القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فبجأ منه بالهدية والحسنى وعبر الأنهار في جهد جهيد والفرق يتهدّده مع القافلة كلها .

وهو على هذه الأخطار التي واجهته ، والدسائس التي تربصت به ، والمشقة الطويلة التي عاناها ، كان شديد الإيمان بالله ، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه لا يخون الأمانة ولو خانها رفاقه ، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال الرسالة ، فتراه يضرع إلى الله أن ينجيه من شرّ ما يلقاه ، ويبرأ إليه من شرور الناس الذين يراهم في طريقه . يتقزز من القذارة والأوساخ . والاسلام أمر بالنظافة وجعلها من الإيمان . ويهوله أن يرى النساء إلى جانب الرجال ، بل يفزعه أن يراهنّ في عرى مخجل فيدعوهن إلى التستر^(١) ، فإذا شاهدن في الماء بغير ثياب طارصوا به ، وفزع إلى الله من شر الكفر الذي كان يسمعه من الكفار في سبيله . وكم تلفت إلى أمور الدين وهو في أشدّ المواقف خطراً ، فنعى على القوم أنهم « لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة^(٢) » ، وكم ستر وجهه حين تكشف النسوة عن عوراتهن . وكان يرتجفُ لسامع أسئلة ملؤها الكفر ، فيستغفر الله لسائله حين يقول له « الربنا عز وجل امرأة ؟ » ولفت نظره أن الرجال هناك ينتفون لحاهم ويرسلون سبائهم فشبهم بالتيوس . وغمّه أن يسجد

(١) في الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ط : « وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في الباحة فما استوى لي ذلك »

(٢) الرسالة ، بالورقة ٢٠٠ و .

أقوام الخشب ينحتونه على أشكال مخزية ، أو أن يتخذوا أرباباً كثيرة ، فيتلو للحال آية الله الكريمة : « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » وساءه أن تعبد طائفة من الطوائف سمكاً أو حيات أو كراكي .

بل إنه ليتمسك بالدين وتقاليد الاسلام ، فيأمر الملك ببرد السلام على أمير المؤمنين ، ويمنعه من تسمية نفسه بالملك ، لأن الله هو الملك وانما يستطيع أن يلقب نفسه بعبد الله وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلوات الله عليه في هذا الصدد ثم انه يأمر المؤذن بافراد الاقامة وكان يثنىها إذا أذن ، حتى لقد عرف الملك شدة تقواه فسماه « أبا بكر الصديق » وآثره وقربه وباعد أصحابه ، وقد اعترف بأن رجلاً أسلم على يديه وكان اسمه « طالوت » فسماه « عبد الله ^(١) » وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم باسم « محمد » وعلم الرجل سور القرآن القصار ، فكان فرحه بذلك أكثر من فرحه إذا صار له ملك الصقالبة .

ويطول بنا الأمر ان رحنا نستعرض ما في الرسالة من تمسك ابن فضلات بدينه ، وفرحه لشعائر الاسلام ، وغضبه لانتهاك حرمة المسامة حين ذكر أن ملك الخزر اليهودي يغصب المسامة الروسية على الزواج منه . وذلك كثير في الرسالة يشير إلى أن الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام ، فقد وفد لهذا ، وذكر أن البعثة كانت تريد تفقيه الشعب هناك بالدين في جملة مهماتها . ونظن أنه انما فصل الأمر في احراق الروس أنفسهم ، واحراق جارية مع الميت ، كان

لكرمه ذلك ، وغضبه من مرأى الجارية يتناولها الفجار من اصحاب الميت في
أوضاع يأبأها الاسلام والدين والذوق .

*
* *

والعجب أشد العجب في هذه الرسالة ، يخطها رجل فقيه ، فيجيد في الوصف
على أروع ما يجود فيه الأدباء ، يصور ما يحول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة
والخوف والفرع ، والعجب والدهشة ، فيقربنا من المشاهد التي رأى تقرب
أديب أريب لافقيه مبشر . ولولا أنه ذكر مهمته وألح على بيانها ، وأكثر من
النصح والنهي ، لسكناه في الأدباء والقصاصين فحسب ، وذلك لبراعة قلمه وحسن
بيانه وجودة عبارته ، وشدة أسره ، وعظيم إيجازه في التعبير ، ودقته في اللفظ
وانسيال الجمل على قلمه في سهولة ويسر ، وفي تتابع من غير تقطيع ولا استطراد .
فلم نقع على تقعر في المفردات ، ولا تكلف في الانشاء ، فأسلوبه من السهل الممتنع
وبيانه من الإيجاز بحيث يقع في صدور الكتاب وفي طليعة المنشئين . وأما رسالته
من حيث المنهج فهي أشبه بالقصة ، تناسك حلقاتها وأحداثها ، كرواية متشابكة
متصل أولها بآخرها .

وهو على إirاده الأرقام والأعداد في ذكر التواريخ والمسافات والأبعاد
والأيام ، لا يبتعد عن أسلوب الأديب ، ولا يتقرب من أسلوب الجغرافي . فلا
نرى له ذكرًا لدرجات الطول والعرض ومواقع البلدان ، ودرجات الحرارة
وموازنة الأقاليم بعضها ببعض كما يصنع الجغرافيون . ويعتمد في حكايته للأحداث

التي مرت به والأشخاص الذين لقيهم على المحاورة المباشرة ، كقصّة كُتبت لأيامنا وهذا سر نجاحه في رسالته ، وسرّ الإعجاب بها والعكوف عليها ، حين اتخذها المستشرقون موضعاً للترجمة والنقل فرأوا فيها قطعة من الأدب الرائع في الرحلة .

وقد أفاده أدب القرآن والحديث في أسلوبه ، فاقبس منهما من غير أن يتكلّف ذلك ، كأنه تشبّع به فسأل يأنه مُشرقاً متيناً لا ضعف فيه ولا انحطاط . فإذا بدا بعضُ التفكك في هذه النشرة فردّه إلى حال النسخة وتصحيحها وإلى الترقيع الذي أدخل عليها في التصحيح ، فالثوب الرائع لا يصلح رتقه إلاّ الناسج الرائع . وأنى لبينا أن يصلح من يأنه ما أفسد الدهر والنساخ .

أهمية الرحلة :

يقول المستشرق الأستاذ « فوهن » حين قدّم لدراسة ابن فضلان في الألمانية ان تاريخ روسية وما جاورها في العصور القديمة غير معروف وهو ما يزال غامضاً مبهماً في أكثر نواحيه لم يضيء من جوانبه أحد من الأوربيين . وفي زمن نسطور « Nestor » كتب عن البزنطيين والفرنك والسكandinavيين ولكن ما كتب لم يتوسع في أخبار الروس . فإذا كان الغرب قد أغفل روسية فان العرب والشرقيين تحدّثوا عنها ، فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسية في عهدها البعيد ، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون عجيبة من أقصى الهند والصين إلى المحيط الأطلسي . فقد كتبوا عن مجاورهم في حدود واسعة ، ووصفوا الهند والنيجر

والقولغا . وذلك لأن تعاليم الدين الاسلامي توحى بطلب العلم وتفرضه وتطلب السعي إليه .

ذلك ما قاله المستشرق منذ مائة عام في فضل العرب على الغرب من حيث كتب الرحلة ، أثبتناه ، لتبين أهمية ما كتبه الأجداد ، وفيهم ابن فضلان ، ولشير إلى يدهم في الكتابة عن أقطار الغرب ، وعن روسية خاصة . فالقوم لا يعرفون من تاريخها القديم كبير أمر . فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسد ثغرة كبيرة في الحديث عنهم لماضيهم البعيد ، ولعلها وحدها تنير صفحات واسعة في حياتهم ، وتحدث عن معيشتهم في أمانة ودقة وتوفيق .

ونحن لا نتظر إلى الرسالة من هذه الناحية فحسب ، وإنما نرى أن الرجل قد صور الرحلة والعادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر ، في مختلف المناطق التي مر بها أو قام فيها ، فلم يغفل كثيراً عما يحتاج إليه ذلك الزمان ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل أكثر ما يرى السائح ، وينقل إليه ما يدور خلال السياحة من حوار ودسائس ، ويصف الحكم والأمراء ورجال الشعب على حد سواء ويرسم الهيئات والوجوه على إيجاز الرسالة وقصرها .

مر ببخاري فوصف الدراهم الفطرية وتركيبتها وقيمتها ، وفعل مثل ذلك حين وصل إلى خوارزم فوصف دراهمها وتركيبتها وتسميتها بالطازجة ورسم وحشية أهلها وصور كلامهم بأنه أشبه شيء بصياح الزراير ، كما صور كلام قرية قريبة بأنه أشبه شيء بتقيق الضفادع فبين حال الأجنبي حين يسمع لغة لم يألفها سمعه ، فحار في تشبيهها ورسمها .

ورسم اللباس في البلاد التي مرّ بها ، وقرب إلينا أشكاله حتى يستطيع الرسام أن ينقل منه صوراً لأزياء البلاد في ذلك الزمان ، عن رحالة شاهد بعينه وصور بقلبه ، وأسماء الألبسة مهمة جداً لمن يريد أن يدرس الحياة الاجتماعية والبشرية .

وأما عادات تلك الشعوب في عيشها وحديثها وتدينها فقد أحسن في بسطها فشرح حال الزواج والمهر وشروطه ، وأوضاع السكنى والمأكل والمشرب ووفاء الدين وحال المدين ، والضيافة واستقبال الزائرين والغرباء ومراسم ذلك كله في هذه الأصقاع .

والمهم في هذه الرسالة أنه خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق وصف الصقالة فأفاض في مراسم الاستقبال ، وفي عيش القوم ، وجلس المليك وطريقة الأكل مما يخالف حياة العرب ومأكلهم . ووصف المائدة . وقد جلس مليكهم فأخذ سكيناً ، وقطع لقمة من اللحم المشوي وأكلها ، ثم دفع قطعة إلى غيره ، فلا يمد أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك قطعته . وكان كل يأكل من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً .

ووصف قصر اللّيل وطول النهار في تلك البلاد ، حين حار في تأدية صلاة المغرب مع صلاة الصبح وقرب طلوع الفجر . وذكر أن القوم يأكلون لحم الدابة وأنهم لا يجدون موضعاً يجمعون فيه الطعام ، فيعمدون إلى آبار يحفرونها في الأرض ويجعلون فيها الطعام ، ولا تمضي عليه أيام حتى يتغير وينتن . وليس عندهم زيت أو شيرج وإنما يستعملون زيت السمك .

ثم ذكر أن القوم يلبسون القلانس ، ويرفعونها عن رؤوسهم حين يمر بهم الملكُ ويجعلونها تحت آباطهم ، وينهضون له واقفين ، فإذا جاوزهم ردوا القلانس إلى الرؤوس . وأنهم يحيون الملك بمثل ذلك ، حين الدخول عليه ، ويحنون له الرؤس وينتظرون الاذن بالجلوس . وذكر أنهم ينزلون إلى النهر فيغتسلون رجالاً ونساء وهم عراة ، وقانونهم في الزنا شديدٌ فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبة إلى فخذه .

ودفن الموتى عند المسلمين منهم يكون بعد الغسل بأن يحملوا الميت في عجلة ، وأن يواروه اللحد ، ويجعلون بعد ذلك سلاحه عنده حول قبره ولا يقطعون البكاء عليه سنتين .

ثم وصف الروس في أبدانهم فرأى أنهم شقر حمر ، وأن الرجل منهم يحمل سيفاً وفأساً وسكيناً لا تفارقه . والمرأة تجعل على ثديها حقة مشدودة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب على قدر غناها ، وفي كل حقة سكينٌ مشدودة على الثدي ، وفي عنقها طوق أو طوقان على قدر ثروتها كذلك . وقال إنهم يجتمعون على السكنى في بيت واحد عشرة أو عشرون ولكل منهم سرير يجلس عليه ، وحياتهم الزوجية عجيبة مكشوفة لأحياء فيها ولا عار ، على قذارة في الثياب والأبدان . فهم يغسلون وجوههم في طست واحد يطاف عليهم به يرسلون فيه كل ما يخرج من أفواههم وأنوفهم . وأنهم يسجدون لخشب ركزوه في الأرض وقد صنع على شكل صور ، يستشفعون إليه ويتضرعون وله يتصدقون .

وفصل الأمر في الموت عند الروس تفصيلاً بارعاً ، فقد وقف على ذلك بنفسه وشاهده بعينه ، فقص علينا ما رأى من موت روسيٍّ جليل . فقال إنهم جعلوه في قبر وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه . ثم سألوا جواريه من تموت معه ، فإذا كان يوم الحرق شربت الجارية وغتت ، وأحضرت إلى سفينة معدة لذلك الأمر . وأخرجوا الميت من قبره وجعلوا معه نيزداً وفاكهة وطنبوراً ، وألبسوه أجمل الثياب الفاخرة وأدخلوه القبة ، وطرحوا بين يديه المأكّل ، ثم دفعوا الجارية بعد أن تودع صواحبها ، فخنقوها وقطعوا أضلاعها ، ثم أحرقوا الخشب تحت السفينة ، حتى أصبحت رماداً تذرّوه الرياح ، وغرسوا في موضعها خشبة عليها اسم الميت واسم ملك الروس .

ولا نستطيع أن نسرف في رواية ماجاء عند ابن فضلان وما قصر من مشاهداته في بلاد الروس ، فالرسالة بين الأيدي تفصل الدقائق وتوضح الحركات في شكل دقيق لا نزاع في مصدر عربيٍّ أو غربيٍّ غيرها . ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان ، لدقتها الشديدة ووضوحها البين . وقد استقى فنان روسي اسمه (هنري سميرادسكي ^(١)) من هذه الرسالة لوحة للدفن ، تزيّن اليوم أزهى متاحف الروس في لنتغراد رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة ، وأكسبت رسالته سمعة عالمية .

ونحن لا نريد بهذا أن نقول إن ابن فضلان وحده ذكر احراق الموقى عند الروس ، ولكننا نريد أن نشير إلى أنه وحده فصل الأمر ووصف الحرق وصف شاهد معاين . فالجغرافيون العرب في القرن الرابع ذكروا أن الروس كالهنود

يحرقون موتاهم ، فقال ابن حوقل : « والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجوارى منهم بطيب أنفسهم ، كما يفعل بغانة وكونغه ونواحي بلاد الهند » وقال المسعودي ^(١) : « فأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم صقالبة وروس وهم في أحد جانبي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودوابهم ، والآلة والحلية . وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإن مات منهم عزب زوج بعد وفاته . والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند » . وقال غيرهما مثل هذا ، ولكن هذه الأقوال ليس فيها كبير غناء من حيث الدقة والقصة والحكاية ، فهي أخبار منقولة تواترت ، وربما كانت في أكثرها مأخوذة عن ابن فضلان ، والفضل للمتقدم .

وهنا يجب أن نشيد بفضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير أن يذكروا غالباً اسمه أو رسالته ، اللهم إلا ياقوت الحموي ، فقد نقل عنه حرفياً صفحات كثيرة من الرسالة — كما نبين بعد قليل — ونقده وخالفه في بعض المواضع ، وأخذ عليه أشياء ، وكذبه في أشياء ، ولكنه على كل حال أثبت اسمه في كل موضع نقل عنه من مواضع معجم البلدان . فالرسالة في ذلك مرجع من أهم المراجع عن البلاد التي زارها وخاصة بلاد البلغار وبلاد الروس . وذلك سبب عناية المستشرقين بها ، بل لعله أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تحقيقها والعمل لها على الطريقة التي نشرحها في الفصل التالي .

الفصل الثاني

تحقيق الرسالة

مؤلفها -- فصول من الرسالة -- مخطوطة الرسالة -- طريقتنا في التحقيق

تحقيق الرسالة

مؤلفها

رأينا أن ابن فضلان بدأ رحلته في ٢١ حزيران ٩٢١ ، من بغداد وبلغ إلى نهر الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١١ أيار ٩٢٢ م ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، ولكننا لم نعرف طريقه في العودة ، ولم نقف على تاريخها والمدة التي قضاها في ذلك حتى وصل بغداد . وإنما نعرف عن ياقوت أن الرجل عاد من رحلته إلى العاصمة ، فقال عنه : « منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها^(١) » .

والمصادر التاريخية لا تفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة ومن صاحبها فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية والتاريخ والأخبار ، ولم نر سطوراً واحداً يُشير إليه ، فنحن نجهل كل الجهل ما كان من اسمه . فهو عند ياقوت « أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد^(٢) بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله » وهذا يطابق ما جاء في الرسالة المخطوطة بالعنوان ، ولكنه يخالف ما جاء في المخطوطة نفسها حين أعلننا أن ابن فضلان أنه أسلم على يديه رجل اسمه « طالوت »

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) صف ياقوت هذا الاسم في بعض المراجع فقال : « ابن اسد » ولعله من الفساح .

فأسماء عبد الله ، فقال الرجل : « أريد أن تسميني باسمك محمداً ^(١) » ويقول المؤلف : « ففعلت » فهل نرى في هذا تناقضاً واختلافاً ، أم نرى فيه تصحيحاً من الناسخ ؟ أم نقبل فيه بأن خير الأسماء ما محمد وعبد .

وليس الاسم وحده هو الذي يستوقفنا ، وإنما اسم فضلان ، فالوزن عربي معروف ، ولكننا لم نقع على « فضلان » في الأسماء المشهورة لذلك العصر مع أن الرسالة تقول إنه مولى لفاتح مصر محمد بن سليمان ^(٢) ، ويقول ياقوت إنه كان مولى لمحمد بن سليمان ثم مولى أمير المؤمنين فهو من العجم الموالي ^(٣) لذلك الزمان .

والمؤلف في رسالته يدعونا إلى الاعتقاد بغير ذلك ، فينقل إلينا قول ملك الصقالبة يخاطبه معرّضاً بأصحابه في الرحلة : « انما أعرفك أنت ، وذلك أن هؤلاء قوم عجم » . فهل يريد بذلك أنه عربي اللسان أم عربي الجنس ؟ أم أن الملك يجهل أصله فدعاه كذلك ؟ !

وأين ولد ابن فضلان من بلاد العجم أو العرب ، وكيف نشأ ، وماذا شغل من مناصب دينية قبل البعثة إلى البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس ،

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ط .

(٢) محمد بن سليمان بن النفق أبو علي الكاتب كما جاء اسمه في تجارب الأمم ٥١٠/٥ ، فتح مصر ودمت آل طولون ودخلها سنة ٥٢٩٣ هـ ، وقتل سنة ٥٣٠٤ هـ ، وحصلت الرعي بيد أحمد بن علي مملوك بعده - انظر الفرج بعد الشدة ١ / ١٨٠ .

(٣) في المولى - انظر دراسة المستشرق فون كريبز ، عن الثقافة في عهد الخلفاء (بالألمانية) ١ / ١٠٤ ، طبع سنة ١٨٨٨ م - ولاحظ أن ياقوت يسميه « مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان »

وماهي ثقافته الأدبية والدينية ، وماذا خلف من كتب غير هذه الرسالة ؟ . إننا اتهمنا في تحليلها قبل قليل إلى أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحب لنشر الاسلام وصدق في الحديث ، وعفة في المال ، ولكننا رأينا عنده سذاجة ، لعلها راجعة إما إلى سنه المتقدمة أو إلى حاله الخاصة.

أما السن فقد لاحظنا أنه تحمل هذه الأسفار فغاض النهار وسكن قرب الثلوج وركب الجمال والسفن وعبر البوادي والصحارى والقفار والغابات وسار سيراً حثيثاً بأشد ما يكون في الجبال والوديان ، وغامر مغامرة الشباب وخاطر بحياته فرأى الموت بعينه . فهل كان في حال جسمية تحمل مثل هذا العذاب في الرحلة أم كان في سن قريية من الشباب ؟ ومهما يكن من أمر ، فالذي ساقه من حكايات كان راجعاً إلى عقليته التي تقبل هذا الخيال ، فقد نظر إلى السماء في بلاد البلغار ، فإذا بالجو يحمر وإذا بأصوات شديدة وهمهمة عالية ، وإذا بأشباح تحمل السيوف والرماح على قطعة أخرى فيها أشباح تحمل السيوف والرماح وفي كل منها رجال ودواب وسلاح ، كما تحمل الكتيبة على الكتيبة . ففرع من ذلك وأقبل على التضرع والدعاء . والقوم يضحكون منه ومن زملائه ويتعجبون . فإذا سأل عن ذلك زعموا له أن هذا الفعل من مؤمني الجن وكفارهم يقتتلون في كل عشية .

وكذلك وصفه لرجل من قوم يأجوج ومأجوج . قص الملك عليه قصته ، له رأس أكبر من القدور الكبيرة ، وأنف أكثر من شبر ، وعينان عظيمتان . فروى ابن فضلان الخبر ، ثم زاد عليه بأن الله يُخرج للقوم كل يوم سمكة من

البحر ، يحتزّ منها الواحد ما يكفيه ويكفي عياله ، ثم يردّها إلى البحر تتقلب ، فإذا أخذ فوق حاجته اشتكى بطنه .

وما بسطنا هذا لنتقد ابن فضلان أو نزري بقدره فلعله كان يتوهم حقاً هذا الذي يصف ، أو لعله خاف فتخيل الذي قال ، فليس من هين الأمور أن يبلغ رجل في عصره ما بلغ إليه من رحلة بعيدة يصل فيها إلى بلاد البلغار والروس ، وأن يرى العجائب التي رأى على وسائط ذلك الزمان ، ومصاعب المواصلات . وكثير من الرحالة والجغرافيين رووا مثلاً روى وأوغلوا في الأساطير ، حتى لقد دخل ذلك في كتب التاريخ عندنا ، وروى المؤرخون مثله على سعة عقولهم وأحلامهم . ولكننا أردنا أن نشير إلى ما كان من ثقافة ابن فضلان وتأثره بالقصص القديمة السائرة في عصره والتواريخ المنشورة المترجمة عن الفرس ، مما أدخله اليهود وغير اليهود في عقول الناس لذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة في ذلك العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد ، حتى قال ابن حوقل وهو في القرن نفسه عن بلاد الروس : « فلم أسمع أحداً يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء ، وانما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم . ولا يتركون أحداً يصحبهم » .

وابن فضلان دخل البلغار . ورأى الروس يتجرون في تلك البلاد وعاد منها بوصف لرحلته ، أشبه ما يكون بالتقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم عن بلاد عجيبة غريبة ، فوفق في ذلك أشد التوفيق ، بل وفق أكثر من بعض السفراء

الدبلوماسيين لعصرنا في تقريره ، فنحن نرى في خلطهم اليوم في فهم الشعوب وعاداتها وتقاليدها ما يجعل ابن فضلان سيّداً من سادة الساسة في عصره وغير عصره .

وهذا دليل على أن الرجل نجح في مهمته ورسالته وكان حقاً عند حسن ظن المسؤولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة ، فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه شخصية ممتازة . فقد وقع عليه اختيار الخليفة أو اختيار الوزير حامد ابن العباس لرئاسة هذا الوفد ، وكلفاه بتسليم رسالة لكل منهما يحملها إلى ملك أوربي يعرفان أتم المعرفة أن الصلات بمملكته حين تتوثق ستزيد المسلمين قوة ودعاية ورفعة . وليس من اليسير أن يختار الخليفة أو وزيره رجلاً لا يكون محنكاً أو مجرباً .

ويبدو أن الأوائل قبلنا جهلوا عنه كل شيء ، فنقل عنه الجغرافيون كما قلنا ولم يذكروا اسمه ، ولم يعرضوا له في مصادرهم التي أخذوا منها . فقد قرأ الرسالة منذ القرن الرابع وما بعده الأضطخري ؛ وابن رسته ؛ والمسعودي ، ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم أنهم نقلوا منه ، فاختلط عندهم ما جمعه من غيره بما نقلوه عنه . وفي القرن السابع كان ياقوت أول من أشار إلى فضله ، واختار فضولاً من الرسالة جعلها في كتابه « معجم البلدان » وهي التي عرفت به في العصر الحديث وسيرت ذكره

فصول من الرسالة

قال ياقوت في كتابه^(١) : « وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس . رأيتُ منها عدة نسخ » . وبذلك نعرف أن نسخ الرسالة كانت متوفرة في القرن السابع ، يعرفها الناس ويتداولونها ، ولا شك في أن ياقوت رأى بعض هذه النسخ خلال رحلاته وأسفاره في بلاد العجم والأترار ، فنقل من إحداها فصولاً عدة ، وجعلها في كتابه مادة يستنير بها ويستشهد على الأقايم والبلدان التي أراد أن يصفها على عادته . وهذا بيان بالفصول التي نقلها مرتبة وفاق صفحات الرسالة وإلى جانبها ما يقابلها من الأوراق في هذه المخطوطة التي نشرها :

١ - خوارزم^(٢) : ١٩٨ و + ١٩٨ ظ .

٢ - باشغرد^(٣) : ٢٠٣ و .

٣ - بلغار^(٤) : ٢٠٣ ظ - ٢٠٦ ظ .

٤ - اتل^(٥) : ٢٠٨ و - ٢٠٩ و .

٥ - روس^(٦) : ٢٠٩ ظ - ٢١٢ ظ .

٦ - خزر^(٧) : ٢١٢ ظ .

(١) معجم البلدان ، للطبعة الأوربية ، ١ / ١١٣ .

(٢) معجم البلدان ، « « ، ٢ / ٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٣) المصدر المذكور ، « « ، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .

(٤) « « ، « « ، ١ / ٧٢٢ - ٧٢٣ .

(٥) « « ، « « ، ١ / ١١٢ - ١١٣ .

(٦) « « ، « « ، ٢ / ٨٣٤ - ٨٤٥ .

(٧) « « ، « « ، ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ .

فهو قد أثبت قرابة عشرين صفحة من هذه الرسالة ، وترك خمس عشرة صفحة منها ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد — على الأقل — مجهولاً لم يظهر في مصدر أو كتاب . وطريقة نقله واضحة بيّنة ، فهو يفتح غالباً بقوله : « قرأتُ في كتاب ^(١) أحمد بن فضلان . . . ويختتم : « هذا ما حكاه » ، أو يفتح بقوله : « قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة أحمد بن فضلان . . . حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها ، فحكيتُ ما ذكره على وجه استعجاباً به » .

وتعليقاته على ما ينقل من ابن فضلان تحمل طابعه في الصراحة والنقد والشدّة فيقول بعد أن يروي الوصف في إتل : « قال المؤلف رحمه الله : هذا وامثاله هو الذي قدمتُ البراءة منه ، ولم أضمن صحته » . ويقول معلقاً على وصفه للخزر : « قال عبد الله الفقير : وهذا كذب منه فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار وهذا ما يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبراب أو ثلاثة شاهدته وسألتُ عنه أهل تلك البلاد ، ولعلّه ظن أن النهر يجمد كله وليس الأمر كذلك » . ويعلق بعد سطور : « قلتُ : وهذا أيضاً كذب لأن العجلة أكثر ما تجر على ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لا تجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس . وأما رخص الحطب فيحتمل أن كان في زمانه بذلك الرخص فأما وقت كوني بها فإن مائة من كان بثلاثة دينار ركني » ثم يقول معلقاً بعد

(١) نلاحظ أن ياقوت يسمي الرسالة تارة « كتاب أحمد » ١ / ١١٢ وطوراً « قصة ابن فضلان » وأحياناً « رسالة » .

سطور : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دوت المدينة شاهدت ذلك » .

ونلاحظ أن ياقوت الحموي لا يكتفي برواية الخبر ونقله ، وإنما يقلبه على وجوهه ، فإن كان قد زار البلاد ، كما وقع في الحزر ، فهو يناقش الرواية ويذكر ما كان لزمانه ، وبينهما ثلاثة قرون على الأقل^(١) . وإن كان لم يزرها أبدى استعجابه مما يقرأ كما فعل في وصف الروس ، أو تبرأ سلفاً مما ينقل كما فعل في وصف نهر إتل ويوافق ابن فضلان حين يتأكد صحة روايته . وهو فيما عدا ذلك أمين صادق ثبت ، شديد الفهم لما يقرأ ، قوي التبع لما ينقل ، إلا حين يحذف من الأخبار والأحداث ما لا يدخل في كتابه . ولذلك كان كتابه معجم البلدان أحسن كتاب يعرض فصول ابن فضلان ويمثلها تمثيلاً صحيحاً بالجملة .

والمستشرقون هم أول من تنبّه إلى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ، ورأوا أن فصولاً منها أثبتتها ياقوت وحده مشيراً إلى صاحبها ، فراحوا منذ أهل القرن التاسع عشر يُعنون بها دراسة وتعليقاً ، وترجمة ، فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ماقاله الجغرافيون العرب عن الروس وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ جمع المستشرق راسموسن Rasmussen مقاطع من هذه

(١) ولد ياقوت الحموي في آسية الصغرى سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بحب سنة ٦٣٦ هـ ، وطاف أمعاء كثيرة مما رأى ابن فضلان . وكان ثقة صادقاً فيما ينقل .

الفصول وترجمها إلى الروسية ، ونقلها عنه إلى الانكليزية نيكلسون بعد أربع سنوات .

وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الألماني فراهن^(١) يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان ، وينشرها تباعاً فنشر سنة ١٨٢٢ الفصل الخاص بالخزر إلى اللاتينية ، ومعه مقال ابن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ نشر الفصل الخاص بالروس إلى اللغة الألمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات فكان مؤلفه كتاباً ضخماً كبيراً بلغ ٢٦٨ صفحة من القطع الكبير . مع العلم بأن الفصل عن الروس لا يتجاوز إحدى عشرة صفحة ، ترجمها في إحدى عشرة صفحة مقابلة إلى الألمانية ، وعلق عليها في ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، وأتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع العلمي القيصري آنذاك^(٢) .

وهذا الكتاب على قدمه جدير بالترجمة والنقد والدراسة لمن يعنون بما قال العرب عن روسية ، وما وقع لعلماء الآثار من النقود والأقشة مما يلم بتاريخ تلك البلاد منذ عصر المقتدر ، فقد ذكر الرجل أن نقوداً عربية مازال محفوفة

(١) ولد فراهن الألماني في مدينة روستوك سنة ١٧٨٢ ، وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ ، وكان من كبار المستشرقين الألمان ، واشتهر خصوصاً بالنقود الشرقية ، وله من التأليف ما يزيد على مائتي كتاب ، وكان عضواً في مجامع عدة بسان بطرسبورغ واستوكهلم وكوبنهاغن وباريس وغيرها . . .

(٢) عنوان الكتاب بالألمانية : رسالة ابن فضلان ، والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس في أقدم الأزمان . نص وترجمة مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبورغ ١٨٢٣ وتفضت دار الكتب المصرية فأعارته لنا مشكورة .

في متحف لنغراد ضربت في عهد المقتدر ، ولعلها جاءت منذ زيارة ابن فضلان وبعثته إلى البلغار . وذكر الرجل خلال هذه التعليقات ما قال الجغرافيون والمؤرخون العرب عن هذه الأصقاع وبحث عن البلدان الروسية كويابا (كييف) وبحر ورنك (اهرنك) كما ذكره العرب وغيرهما من البلدان والمواقع . وفي سنة ١٨٣٢ نشر فريهون نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا (إتل) في منشورات الجمعية الآسيوية بلنغراد (سان بطرسبرغ) . وهكذا نشر الرجل أكثر فصول الكتاب عن ياقوت وعني به عناية فائقة ، وتمنى أن يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة ، ولكنه قضى قبل أن يصل إلى أمنيته الغالية .

وفي سنة ١٨٦٣ نشر « وستفيلد » عن الرحلات عند ياقوت وفيها رحلة ابن فضلان ، دراسة بالألمانية ، وكان يجمع مخطوطات ياقوت لنشر معجم البلدان ^(١) . وفي سنة ١٨٩٩ نشر فستبرغ Westberg دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ نشر المستشرق فون روزن Rosen مقالاً بالروسية عن ابن فضلان وأوصافه لاتل ، وخوارزم ، والروسية ^(٢) .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي دفورجاك Dvorák دراسة عن رحلة ابن فضلان نشرها في براغ . وبعد عامين نشر برتولد Barthold بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات إلى روسيا عند العرب ^(٣) .

(١) مجلة Z D M G ، المجلد ١٨ .

(٢) Z B O ، المجلد ١٥ ، ص ٣٩ - ٧٣ .

(٣) Z B O ، المجلد ٢١ ، سنة ١٩١٣ ، فيها عن الاصطخري وابن رست والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، أصدر مار كوارت Markwart ، دراسة عن الرحالة في ليتسك . وفي هذه السنة وقع الحدث الخطير في المعلومات عن ابن فضلان ، اذ تسلم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبورغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد « طوس » من ايران ، ووصلت بقية الأوراق مصورة بعد عشر سنوات إلى هذا المعهد ، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة وسنرى ما يكون من ذلك .

مخطوطة الرسالة

منذ عام ١٩٢٤ نشر مقال بالروسية^(١) في التعريف بهذه النسخة الخطية الثمينة التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد ، وبعد سنتين ١٩٢٦ صدر فهرس هذه الخزانة ، وفيه وصف هذه النسخة ، تحت رقم ٢ « أخبار البلدان » عربي ، فاذا المخطوطة تحوي أربع رسائل^(٢) :

- ١ - الأولى : رسالة أبي دلف .
- ٢ - الثانية : رسالة أولها : أما بعد حمد الله . وخاتمتها « عبرة لأولي الألباب » .
- ٣ - الثالثة : رسالة في أخبار البلدان .
- ٤ - الرابعة : كتاب ابن فضلان . وأوله : « قال أحمد بن فضلان لما وصل

(١) P. A. H المجلد ٦ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وصف المخطوطة .

(٢) جلد سوم - أذربيست كتب كنيخانه مباركة استاذان قدس رضوى على مشرفها آلاف السلام ، شهر المحرم ١٣٤٥ هـ ، دار الطباعة ، طوس (مشهد مقدس) ، ص ٢٩٩ .

كتابُ الحسن بن بطوار ، ملك الصقالبة الى أمير المؤمنين وآخره : وله يذعن الملوك الذين يصاقبونه » .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخ ، في كل صفحة منها ١٩ سطراً ، وقف ابن خاتون « وتاريخ الوقف ١٠٦٧ هـ » . وأوراقها ٢١٢ ورقة ، آخرها مبتور مخروم ، وهو بذلك ينقص من أوراق رسالة ابن فضلان مع الأسف .

ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون إلى دراستها والتعريف بها ، فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان ، إلى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها . فأكمل مافيه ، وقابلها على ياقوت وغيره ، وأتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الألمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩^(١) . ونشر هو نفسه قبل ذلك مقالاً يبين فيه أهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف^(٢) . وظهرت بعد ذلك مقالات في الصحف الغربية عن الرسالة لافائدة من تعدادها هنا كلها^(٣) لأنها في الفوائد اللغوية والتصحيحات الجغرافية .

وفي السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية ، برعاية المستشرق الكبير

(١) Ibn Fadlan. « Reiseberichte Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes XXIV, 1939

(٢) JA. 204, 149

(٣) منها مقالة الاستاذ ريتز في الملاحظات على نشرة وليدي ، صدرت سنة ١٩٤٢ في مجلة ZDMG ص ٩٨ - ١٢٦ ، ومقالة بالجزيرية في مجلة Acta Orientalia ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، أشرنا إليها في تمهيدنا ، ومقالة الاستاذ دنلوب Dunlop في مجلة « عالم الشرق » بالانكليزية ، صدرت في مدينة شتوتغارت في أربع صفحات ، ومقالة للاستاذين فراي وبلوك R. Frye, R. Blake بالانكليزية كذلك ، صدرت سنة ١٩٤٩ ، في ٣٧ صفحة .

كراتشكوفسكي ، في مدينة موسكو ، وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها ، على إحدى وخمسين صفحة . ثم تلتها ترجمة الرسالة إلى الروسية في مئة وعشرين صفحة ، ورقة فورقة ، في ملاحظات قيمة ثمينة جداً ، وأعقبها الملاحق ، والفهارس . وفي آخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية (فوتوغرافية) للرسالة كلها عن مخطوطة « مشهد » بحجم كبير واضح ، ورقمت أوراقها ^(١) .

والحق أن هذه الدراسة هي أدق ما صدر عن ابن فضلان ورسالته وهي أصح التعليقات وأقربها إلى فهم النص ، وخاصة فيما يلم بالبلغار وروسية ، فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها ، وترجع إلى المصادر الحديثة الواسعة ، على قوة في الملاحظة ، ووقوف على العربية . ولكنها جعلت للمستشرقين عامة والروس منهم خاصة ، لأنها اكتفت بنشر الصور الفوتوغرافية « الشمسية » كما هي ، ولم تُعن بطبع النص العربي محققاً ومصححاً بحروف الطباعة العربية ، كما فعل زكي وليدي ، وإنما اكتفت بالصور ، يصح روايتها القارئ الروسي من التعليقات ، ويبدل بذلك جهداً في التنقل بين المخطوطة وبين الحواشي والتعقيبات . أما القارئ العربي فلن يفيد منها أمراً إلا إذا صحح عن الروسية هذه الصور وقوّم العبارات فيها ، وأكمل المبتور والناقص والمحروم يده ، وفي ذلك جهد جديد لا ينهض به إلا ناشر أو محقق ، وليس هذا من عمل القراء في شيء .

(١) من منشورات الجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي بنوا ، رحلة ابن فضلان إلى البلغار ، مع مقدمة للمستشرق الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، ١٩٣٠ صفحة + ٣٣ صورة شمسية .

وإذن فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد زكي وليدي طوغان مع الترجمة والتعليق، ونشرت صورها الشمسية مرّات، وصدرت عنها دراسات ومقالات في الألمانية والروسية^(١) والانكليزية. وهذه الطبعة والصور والدراسات هي في الغالب مفقودة في خزانتنا العربية العامة، لا تكاد تملك منها طبعة أو دراسة، فكانت الرسالة لم تنشر أو كأنها بقيت مخطوطة. ومع ذلك فإن طبعة زكي وليدي الوحيدة تحتاج إلى تصحيح وعناية وتقويم، فهي تغص بالأخطاء، كما أشار المعلقون من المستشرقين، وهي على أخطائها نادرة لاتصل إليها الأيدي لأنها ظهرت في مجلة ألمانية من الصعب الحصول على نسخة منها، ونشرها نفسه لا يكاد يملك فيما قال لنا إلا نسخته الخاصة.

وبذلك أصاب ابن فضلان ظلم كثير في الأقطار العربية، فلم ينهض له ناشر أو محقق يجمع شتات التعليقات والمعلومات، ويعود إلى الصورة المخطوطة، فيتناولها بالقراءة والدراسة والتقويم كلمة كلمة، وينشرها في جمهور المثقفين المتشوقين إلى تراثنا الخالد، وخاصة في هذه الأيام، ليعرف العرب أي يد كانت لهم منذ القرن العاشر لليلاد في نصرة البلغار على الخزر، وعون هؤلاء الأقوام على أطراف الفولغا ضد الخزر اليهود، فقد طغت اليهودية على هذه الأمة وهددت كيائها، وسلبت نساءها، وأذلتها في عقودارها، وفرضت عليها رسوماً وضرائب كانت تدفعها عن يدي وهي صاغرة. فهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين، وأرسلوا إليهم

(١) آخر الدراسات عن ابن فضلان، صدرت في خاركوف سنة ١٩٥٧ بناية كوفالفسكي في ٣٠٩ صفحات مجعده الرابع، مع ٢٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة، وفيها شروح وتلميحات بالروسية.

المال ، ووعدوهم بتحسين الحدود ، وقدموا لهم ما يملكون من وسائل الحضارة مما يُعينهم على العيش الكريم ، فكانت هذه البعثة الرسمية التي وصف مهمتها ابن فضلان في رسالته ، ورسم المراحل التي اجتازتها ، والعقبات التي مرت بها . فهي وثيقة سياسية تاريخية هامة ، 'عني بها الغريون من جانبهم وبقي على العرب أن يُعنوا بها ، وهم أصحاب الفضل واليد ، منذ عشرة قرون كان الغرب قبلها يتخبط في الجهل والظلم ، وهذا سبب من الأسباب التي دفعتنا إلى العناية بها وتحقيقها .

طريقتنا في التحقيق

لهذا نهضنا بالمهمة منذ سنة ١٩٥١ ، نزولاً على إشارة الرئيس المرحوم العلامة محمد كرد علي ، واتخذنا الصورة الشمسية للرسالة أصلاً للتحقيق . فنقلناها ورحنا نقرأ عباراتها لنفهم منها ما يقيم ألفاظها ، فإذا بها قد كتبت بيد ناسخ عاش في القرن الحادي عشر للهجرة ، متأخر ، لم يفهم الرسالة ولم يفقه مراميها ، فتصحفت عليه وجوه القراءة فرسمها كما استطاع ، ولم يكن من السهل عليه أن يفهم كل ما فيها فقيها من الصعوبات ما يشق عليه تذليله . ويبدو أنه كان ضعيفاً في العربية ، لا يعرف قواعد النحو البسيطة ، مثل قاعدة الأعداد ، أو المفعول به أو الممنوع من الصرف^(١) ، وذلك من اليسير رده وتصحيحه على الناشر . والأمثلة عليه كثيرة لا نريد أن نثقل بها هذه المقدمة ، ففي حواشينا أدلة متوفرة كافية للبرهان على

(١) أما عن طريقة النسخ في رسم الحروف والكلمات فقد عرضنا صفحات بالتصوير كنهج لخطه جلتها بعد هذه المقدمة .

ما نقول . وليس هذا وحده ، وإنما في الرسالة أشياء لم يفهمها فصورها كما هي ، وأعلام لم يسمع بها ، وألبسة لا يعرفها ، فهو ناسخ ضعيف ، لا يرقى إلى مرتبة النساخ المثقفين .

ومن هنا كانت صعوبة القراءة ، فعمدنا قبل كل شيء إلى مقابلة ما في المخطوطة على ما نقل منها ياقوت الحموي إلى معجم البلدان ، فإذا ياقوت يتفق في كثير من الروايات ويختلف في قليل ، وذلك لأنه وقع على نسخة قريبة من هذه النسخة أشد القرب ، ولعل هذه المخطوطة من حفيداتها ^(١) ، لولا شدة تصحيفها .

وشيء آخر أصاب هذه الرسالة فقد عدا عليها الإهمال ونزلت بها الرطوبة ، فطمست كلمات منها في كثير من مواضع الصفحات ، وحلت بها الأرضة فحلت مواضع أخرى ثم تناقلتها الأيدي فمزقت آخرها ، على عادة المخطوطات ، لقلة التجليد وضعف العناية بالمخطوطات . أما ما وقفنا عليه في ياقوت مما يكمل المبتور ويوضح المطموس فقد أعدناه إلى مكانه وملأنا فراغه ، وجعلناه بين معقوفتين ؛ دلالة على إضافته من ياقوت . وأما ما لم تقع عليه في « معجم البلدان » فقد أعلنا فيه التخمين والحدس ، وجعلناه كذلك بين معقوفتين . وبقي أمر هام نحب أن نقف عنده ، وذلك هو آخر النسخة فهي تقف عند الورقة (٢١٢ ظ) ، ونختتم بثلاثة سطور جاء فيها الحديث عن الخزر ، بصورة مفاجئة ، من غير تمهيد . وقد

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان بمادة « مرو » أنه أفاد من خزائن هذه المدينة وأقام بها ثلاثة أعوام يذلل ويقتبس ، فظهر رأى رسالة ابن فضلان في هذه المدينة .

عودنا ابن فضلان أن يقص علينا أمر انتقاله من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة وأن يشير إلى الطريق التي سلكها ، والأيام التي قضاها ، والطريقة التي قوبل بها . ولكنه هنا بعد أن ينتهي من الحديث عن ملك الروس وعاداته ينتقل فجأة إلى ملك الخزر ، فيقول : « فأما ملك الخزر . . . » فهل يصف هذا الاقليم بعد عودته من الروسية ، أم يصفه في طريق الذهاب إليها ، أم يوازن بين الروس والخزر في عاداتهم ؟ إنه وضع خطته في عنوان رسالته فقال : « يذكر ما شاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم » ، وقد تحدث عن خوارزم ثم عن الترك وقبائلهم وعاداتهم وأطال في ذلك ، ثم عن البجناك ، ثم الباشغرد ، ثم بلغ إلى ملك الصقالبة ، فأسهب في الحديث عن مهمته عندهم وعند مليكهم وعن طبيعة بلادهم وعجائبها . فاذا رأى الروس وافوا في تجارتهم إلى « نهر إاتل » عند الصقالبة تحدث عنهم ، وقصّ حكاية الدفن فأفاض في صفحات ختمها بكلامه عن ملك الروس ، وإذا به يتكلم عن ملك الخزر في ثلاثة سطور بترت بعدها الأوراق ، وحل محلها الشك . وتكلم المستشرقون وتناقشوا في هذا الأمر كثيراً وقد رجعنا إلى ياقوت نستجد به كما استجدوا ، فرأينا أنه يتحدث عن الخزر فيقول ^(١) : « وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال : الخزر اسم اقليم من قسبة تسمى إاتل ، وإاتل اسم النهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار . . . » فصدنا صدمة عجيبة ،

لأن ابن فضلان لم يعودنا الطريقة الجغرافية في الحديث عما زاره ، وإنما يقول كما رأينا أنه انتقل فرأى كذا ، ثم وصل إلى بلد كذا ، فهو حين يصل إلى الباشغرد يقول : « فوقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ، فحذرناهم أشد الحذر » وحين أراد الحديث عن الصقالبة قال : « فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة ، وجه لاستقبالنا ... » وتحدث عن الروسية فقال : ورأيت الروسية ، وقد وافوا في تجاراتهم ، ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم منهم أبداناً ... » فليس من المعقول في شيء أن يبتدىء حديثه عن الخزر بذكر الأقليم وتعريفه والنهر وجريانه ، ولا يمهّد لذلك بقول كآقواله السابقة . ولكن ياقوت عودنا الصدق وأمانة النقل ، وهو في كل مانقله إلى معجمه عن ابن فضلان كان ثقة وكان يطابق ما في مخطوطتنا ، فكيف وقعت منه هذه النسبة إلى ابن فضلان ؟

إن الاصطخري وابن حوقل يتحدثان عن الخزر^(١) ، ويقولان الكلام الذي قاله ياقوت في النصف الأول كلمة كلمة ، لا يكادان يختلفان عنه إلا في بعض الكلمات ، وإلا فيما تُخطئ فيه العين حين النقل ، أو يميله الحفظ واللب حين الكتابة . فالنصف الأول هو هو في الكتابين وفي ياقوت يتحدث عن الملك ، ثم عن الفرق الدينية ، والحكام والقضاة وشكل الأتراك وهيئاتهم . ويبدأ الاختلاف في النصف الثاني عند الحديث عن خاقان الخزر ، والدخول عليه فين فصل الكتابان عن ياقوت

(١) كتاب ممالك الممالك للاصطخري وهو ممول على كتاب صور الأقاليم للبغلي ، ط . لندن

١٩٢٧ م ٢٢٠ - ٢٢٨ ، وابن حوقل ٢٠ / ٣٨٩ .

تماماً في هذا الموقع ، فكأنه اتفق معها في الشق الأول فحسب . وهو في هذا القسم الأول يتحدث عن مساجد لم يرها ابن فضلان حتماً فانما جاء ليبشر بالاسلام وليبني منبراً . وهذا لا يتفق مع مفهوم رسالته ، وإنما قد يتفق لمن وصفها بعده وتأثر بعمله وتبشيريه ، فليس القسم الأول من انشاء ابن فضلان وليس من رسالته .

والنصف الثاني عند ياقوت يتحدث عن ملك الخزر فيتفق والسطور الثلاثة التي بقيت في المخطوطة عند ابن فضلان ، ويتابع وفاق السطور المطموسة في الورقة ، فكأنهما متحدان منذ هذا الكلام فحسب ، وكأن القسم الأول نقله ياقوت عن الاصطخري وابن حوقل ، ونقل الثاني عن ابن فضلان ، ونسي أن يذكر مصدره في الأول فجعل النصين معاً باسم ابن فضلان لغلبة الشعور عنده بأن الرجل زار هذه البلاد فتحدث عنها هذا الكلام كله . وهنا نقلنا القسم الثاني فقط مما أثبت ياقوت متمماً لعبارة ابن فضلان ، ووصلنا بين السطور الثلاثة عندنا وتمتة النص من ياقوت ، وجعلناه ذيلاً للمخطوطة ، كأنه يعوض عنا الورقة الضائعة أو الورقتين الضائعتين .

وبعض المستشرقين يظن أن نص الاصطخري منقول عن ابن فضلان في الأصل - والاصطخري ^(١) كان حياً في سنة ٣٤٠ هـ ، بعد حوالي ثلاثين سنة من رحلة ابن فضلان — فأثبت ياقوت على أنه له . وبعضهم يرى أن ابن رسته والبكري

(١) لم يكتب أحد عن حياة الاصطخري ، حتى أن الناصر المسترق لم يجد نوراً يهتدي به في الحديث عنه ، ولكنه رأى أنه التقى ابن حوقل سنة ٣٤٠ هـ .

والاصطخري والمسعودي يشبهون آراء ابن فضلان فيما وصفوا من تلك البلاد ، ولعلمهم نقلوا جميعاً عن الجيهاني ، وقد ألف كتابه بعد سنة ٥٣١٠ هـ ، أي بعد رجوع ابن فضلان من رحلته . وكتاب الجيهاني ضاع ولم يصل إلينا لتنازل بينه وبين مؤلفنا ابن فضلان .

ونحن لانتحق في الجغرافيين ، ولا نكتب في صدد مادة الخزر نفسها ، ولكننا وجدنا ثلاثة سطور في آخر المخطوطة عندنا ، وقعت هي نفسها في ياقوت تبدأ بجملاً أتم نقله ياقوت ، فنقلناه عنه . واطرحنا مانسبه إلى ابن فضلان في الشق الأول لأنه لا يشبه أسلوب صاحبنا ولا يلمّ برحلته في شيء ، وفيه إعادة وتكرار بين الشق الأول والثاني في الحديث عن خاقان الخزر ، فكان ياقوت جمع بين مصدرين على عادته ، ولكنه نسي أن يشير إلى مصدر الشق الأول ، فجعل الاثنين لابن فضلان — كما قلنا — .

ولعل القارئ يعذرنا في الاطالة والاسباب ، فنحن أردنا أن نتحقق من من نسبة الرسالة إلى صاحبها وصحتها ، بعد أن تحققنا من وقوع الرحلة ، فأثبتنا وقوع النص في ياقوت وحده مشابهاً لما عند ابن فضلان في أكثر ما نقله . وليست المهمة سهلة كما تبسطها هذه السطور في يسر وسهولة ، وانما استغرقت زمناً ليس باليسير وجهداً ليس بالقليل ، لانّنا ولا تتكلف في امتداح ما فعلناه ، فقد نخطئ في هذا التخمين وفي هذا التقدير^(١) ، ولكننا نريد أن نضع المشاكل بين يدي المطالع

(١) رأينا أن المستشرقين الروس فعلوا مثل هذا فألغوا نص الخزر من الشق الثاني برسالة ابن فضلان وترجموه مع الرسالة .

كما وقعت لنا ، وأن نشركه في الرأي ليكون على اطلاع بما يقرأ من حيث النسبة والصحة والدقة ، فلا يتهمنا بالاسراع والاغراق في التفاؤل ، وإنما يعرف أننا شككنا في كل كلمة قرأناها ، ورددناها إلى أصلها من العربية أو التركية أو الفارسية وأنها رجعتنا إلى المعاجم على اختلاف ألوانها ، تمدنا بما عندها . وعدنا إلى المستشرقين نسألهم ونقرأ تعليقاتهم ، ونأخذ منهم بما اتفقوا عليه . ولكنهم اختلفوا في كل شيء من هذه الرسالة ؛ فقد وقفوا عند اسم ملك الصقابة ، فهو الحسن حيناً وهو « المش » حيناً آخر ، وهو مسلم قبل أن يفد ابن فضلان ، بل هو أسلم بعده ، فأبوه كافر اسمه يلطوار أو بلطوار أو « فلاديمير » أي « أمير فولاذ » . وهم يقفون في حيرة كما نقف ، لضعف المصادر عن امدادهم بتاريخ تلك البلاد لذلك العصر . ولهذا بسطنا في التعليقات أمر شكهم وحيرتهم ، وتركنا للقارىء الحكم بعد ذلك .

ولن ننسى كذلك ما بسط هؤلاء العلماء من شك في تمام هذه الرسالة وكالها فقد رأى بعض أنها موجز الرحلة ، بدليل كلمة : « قال » التي تبدأ كل مقطع طويل ولعلمهم على حق في ذلك ، ولكننا نجد المؤلفين القدماء يكررون هذه الجملة في كتبهم التي لا ينالها شك في تمامها . فعسى أن يجود الزمان بعالم يكتشف النسخة الكاملة للرحلة ، فيصحح ما وقعنا فيه من خطأ ، ويكمل ما بدأنا به . فقد عرفت منها فصول أول الأمر حتى سنة ١٩٢٤ - كما قلنا - ، ثم عرفت الرسالة كما ننشرها مبتورة في آخرها ، والزمان كفيل بأن يظهرها كاملة مفصلة بعد سنين - إن شاء الله - فتزول هذه المشكلة ويموت هذا الشك .

أما أسماء الأنهار فهي مشكلة كذلك ، فقد تغيرت مواقعها وأسمائها وحرار المستشرقون كذلك في ردها إلى أسمائها اليوم ، لذلك ذكرنا ما انتهى إليه أهل الصنعة في جغرافية تلك البلاد ، ولسنا منهم في حال إلا أن نكون ناقلين مستيرين بهدي غيرنا ، ننظر الصواب من كل فم ، والتصحيح من كل عالم واقف على الموضوع.

فنحن لا ندعي أننا فعلنا كل شيء ، ولكننا على ثقة بأننا صنعنا ما كان في إمكاننا ، فاتخذنا الصورة الشمسية المكبرة عن كتاب كراتشكوفسكي وبسطناها على الورق ، وعلقنا عليها ، وصوبناها كما انتهى إلى علمنا . وقسمناها إلى مقاطع وإلى فصول ، تمشياً مع طباعة اليوم ، من غير أن نبدل في ترتيب المخطوطة وفي كلماتها . فلقد أثبتناها كما هي مع إضافة يسيرة يقتضيها العلم الحديث من وضع الترقيم في الفواصل والنقط والأقواس وأضفنا البسملة في صدر الرسالة والعناوين الموجزة بين الأقواس المعقوفة ، وجعلنا أوراق المخطوطة معينة ، ووضعنا أرقامها بالحواشي بين معقوفتين . وضبطنا بعض كلماتها ، وفعلنا كل ما يقربها إلى العرض الواضح ، والطباعة المبسطة .

ونحن نعرف أن نشر النصوص قد اتخذ على يد بعض شبابنا^(١) قاعدة أفسدته حين أشاروا بأن نطبع المخطوطة كما وصلت من غير تعليق أو شرح ، فلو قد فعلنا ذلك لوقف القارئ دون الفهم ، وجعلناه أمام مشكلة فهم النص ، وبعثنا منه

(١) لقد أرسل بعض الشباب قواعد «في تحقيق النصوص» على قلة تجربتهم ، ونحن نرجع إلى القدماء من عقبتنا فقد ساروا في تحقيق الأحاديث سيرة يقلدها الترييون اليوم لأنها عاقلة حقاً .

الحيرة والقلق ، ودفعناه عن جمال الرحلة ، وكأنا صنعنا كالمستشرقين فصورنا المخطوطة تصويراً فحسب . ولما كان من ههنا أن نقر به منها وأن نحجبه إليها وأن نعرفه إلى النصوص القديمة وإلى تراثنا العبقري ، أضفنا في الحواشي ما قد يستثقله بعض ويرمي به بعض ، ولكنه لا يفسد النص كما يترأى لهؤلاء الشباب وإنما ينير جوانبه . والنور في الشرح خير من الضلال في الصمت والسكوت عن المشاكل وإيثار العافية .

ونحن بعد هذا كله نرجو الأجر عند الله وحده فيما صنعنا فقد عملنا لخدمة الجيل الجديد ، في عصر اليقظة العربية ، وقد تلفت إلى ماضيه ليتثبت من مفاخر أجداده وليتأكد من ضخامة ما صنعوا لأجل لغته وبلاده ، لعله ينهض بمثل ما نهضوا به فيصنع لمستقبلنا كما صنعوا لماضيها ، ويتكافأ عند ذلك ماض ومستقبل ، ونعود لمصافحة النجوم واستقبال المفاخر ونغدو من جديد أمة حية تستحق الخلود والاكبار كما كنا ، فقد سطرنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم . فعسى أن تجد هذه الصفحات عند العرب ما وجدت عند الغرب من اهتمام لائق . وعند ذلك نجد السلوان والعزاء عما بذلنا من وقت وجه وصحة ورحلة ، والحمد لله على ما يسر وأعانت .

دمشق الشام في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ

الموافق ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ م

محمد سامي الدرهان

ص	: صفحة
ج	: جزء
ط	: طبعة
و	: وجه الورقة من المخطوطة
ظ	: ظهر الورقة من المخطوطة
	مخطوطة الأصل : أو نسختنا : هي مخطوطة مشهد الوحيدة
ياقوت	: معجم البلدان لياقوت
[]	: وضعنا بينهما ما رأينا إضافته للسياق ، إما لطمس في المخطوطة أو غموض ، أو لإكمال نقص سواء أدلت عليه النسخة أم لم تدل
	: للدلالة على نهاية الصفحة وبده الصفحة التالية في مخطوطتنا
[٣٣]	: وضعناهما في الهامش ، وبينهما الرقم المتسلسل للدلالة على رقم الأوراق في مخطوطتنا ، وهي نسخة مشهد .

(وأما المختصر من أسماء المؤلفين وآثارهم ففي الفهارس آخر الكتاب عون لبيان التفصيل فيه)

رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

نماذج

الأصول المعتمدة في التحقيق

في يوم الجمعة كثر من الموتى قالوا له من كان في ذلك اليوم
 من اصحابه ان امير المؤمنين الحسين يسلمه اليه من يده في ذلك اليوم
 وفيه من اصحابه السلام وهي له شجرة ارضه لم يبق له من يده في ذلك اليوم
 وجميع مملكته ويسلمه بنا حصن حصن من الملوك الخائنين له الجند الى ما ساء من
 ذلك وكان سفيره نذير الخزي فندت انا بقراءة الكتاب عليه وتسلمه بالخزي
 الله والاشرف على الفقهاء والاعلمين وسبب له ما ناله المحول اليه لئلا ما ذكرنا في الحجة
 على الفقهاء والاعلمين على القيمة المعروفة بالاربعين من رضى خوارزم من طبع
 ابن الفرات وكان الرسول في مقدمته من رضى خوارزم رضى له عبد الله من
 باشتوا الخزي والاربعين من رضى خوارزم رضى له عبد الله من
 التركي وبارس الصفار في ايامه على ما ذكرت تحت اية اهداب له ولا مفراته ولا
 بلاق واخره وقوان ولا ويسكن في نذير يطلعه من حنا من يده العلم من
 ليس له طر عشرة ليا خلعت من صفر سنة سبع وثمانية فاقنا بالهروان وواحد و
 رطلنا مجدين حتى وافينا الديكة فاقنا بالثلاثة ايام له رطلنا فاصد من يكون شاني
 منى صر الى حوان فاقنا بها يومين وثمانية ايام في ريسين فاقنا بها يومين ثم حنا و
 فتر الحن وصلنا الى هذا فاقنا بها ثلثة ايام ثم سبنا حتى نزلنا سنان فاقنا بها يومين
 منها الى الري فاقنا بها ثلث عشر يوما منتظر على الحاصل لان كان
 الرمي الى حنا الى حنا الى الري فاقنا بها ثلث عشر يوما منتظر على الحاصل لان كان
 حنا الى الري فاقنا بها ثلث عشر يوما منتظر على الحاصل لان كان
 حنا الى الري فاقنا بها ثلث عشر يوما منتظر على الحاصل لان كان

عجل الدين في ذلك فقال انه يقول انهم بايعوا الربيعي
 ذلك قال انهم يقدون الى لعب الناس اليكم والكرمهم
 والابى وماكده التراب المدام والدود وخن خرقه على حلقه فبدا
 وساعة فبالت عن ذلك فقال من محبده له قد بعث الروح حمر في ساعه فاجاب
 ثاني الحقيقة ساعة حتى صارت السفينه الى طيب والجارية والمولى ملائم بعدوا
 ثم بنوا على موضع السفينه قديا خرجوها من النهر شبيهة بالقلل المدور ويصوبونها
 ويصل ذنبيه كمين خذلك وكتبوا اسم الرجل واسم ملك الروس والنصر فوا من
 فالت الروس ان يكت معه في قبة أربع مائة رجل من صناديد اصحابه اهل
 القبة عذبتهم بموت مومته وقتلوا حوته ومعها ولحد منهم جارية تحبها وتقبل
 راسه وتضع له ما ياكل ويشرب وجارية اخرى يطعمها الاربع ما ينبت اسود تيمت
 سربن وسربن عظيم مرصع نفيس الجوهر وجلس معه على السرور اربعين ليلة
 وربما وطأ الواحد منهم نخضر اصحابه الذين ذكرنا وكما ينزل عن فان ارادته
 جاءها في طشت واذا اراد الركوب قدم دابته الى السرور اذا
 التزول قدم دابته حتى تلبس دابته وله خليفة يسوس الجيوش وير
 في رعيته فانما ملك الخور واسمه خاقان فانه لا يظهر الا في كل اربعين سنة
 يقال له خاقان الكبير ويقال لخليفته خاقان به وهو الذي يقر الجيوش ويسو
 ويدبر امر الملكة ويقوم بها ويظهر ويغزو اوله يدعى الملوك الذين يضافونه و
 ١١١

نموذج ثالث من المخطوطة الوحيدة ، الورقة ٢١٢ ظ وهي آخر صفحة فيها
 (انظر ص ١٦٤ - ١٦٩ من طبعتنا هذه)

مخطوطة الرحلة - القسطنطينية الأولى

1. 2. 3.



القسم الثاني - مخطوط الأماكن التي وردت في حياة ابن فضلان ، كما سجلها الأستاذ كاتار في الترجمة
من بخاري إلى بلغار

رِسَالَةُ الرَّابِ فِي فَضْلِ الْأَنْ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ

فِي وَصْفِ الرَّحْلَةِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالرُّوسِ وَالصَّقَابِلِ

سَنَةِ ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

صَفِّهَا وَعَلَى عِلْمِهَا وَتَرْجُمُهَا

الدُّكْتُورُ سَامِي الدَّهَّانُ

عُضُوٌّ لِمَجْلِسِ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِيِّ بِبَغْدَادِ

هَذَا كِتَابُ

أَحْمَدَ بْنَ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَشَدَّ بْنِ حَمَّادٍ

مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ رَسُولِ الْمُقْتَدِرِ الْمَلِكِ الصَّقَالِبَةِ

[١٩٦ ظ]

بِذِكْرِ فِيهِ مَا شَاهَدَ فِي بِلَادِ التُّرْكِ ، وَالتَّخَزَرِ ، وَالرُّوسِ ،

وَالصَّقَالِبَةِ ، وَابْنِغُورٍ ، وَغَيْرِهِمْ ؛ مِنْ اخْتِلَافِ

مَذَاهِبِهِمْ ۥ وَأَخْبَارِ مَلُوكِهِمْ وَأُمَمَائِهِمْ

فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ

[١٩٧ و]

[فاتحة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

قال أحمد بن فضل بن

لما وصل كتاب^(١) ألمش^(٢) بن يلطوار ملك الصقالبة^(٣) إلى أمير المؤمنين المقتدر^(٤) ، يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقه في الدين^(٥) ، ويعرفه

(١) لم يقع الترييوت على كتاب ملك الصقالبة ، ولم يعرفوا فعواه ، والتواريخ العربية لم تشر إليه بشيء ، ولو وصل إلينا لكان وثيقة هامة في السياسة لذلك الزمان .

(٢) في الأصل بالخطوط هنا : « الحسن بن يلطوار » - وفي الورقة ٢٠٢ ط بعد قليل : « المش بن شلكي صهر الأتراك » - وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « كتاب المس بن شلكي يلطوار » - وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحف على الزمان ، فرأى بعضهم أنه المش بن يلطوار ، ورأى آخرون أن يلطوار ربما كانت فلادير أي أمير فولاذ ، وللتفصيل انظر مادة « بنار » في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، وقد اخترنا رواية المخطوطة في الموقع الثاني فجعلنا الاسم « المش ابن يلطوار » .

(٣) الصقالبة أو الصقالية ، هم السلاف أو السكلاف ، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق ، ورضعهم فيما يرى الاصطخري (ص ٩ طبعة ليدن ١٩٢٧) عريضة طويلة نحواً من شهرين في مثلها ، وبلغر اخراجة هي مدينة صغيرة ليس فيها أعمال كثيرة ، واشتارها لأنها فرضة لهذه الممالك . والروس قوم بناحية بلغار ، فيما بينها وبين الصقالبة . وأما الترييوت فلم يستطيعوا تخديد مملكة الصقالبة ، ولكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة أنفسهم .

(٤) المقتدر بالله هو أبو الفضل جعفر ابن المتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وقيل سنة ٣٢٠ هـ - انظر مصادر التاريخ عنه ، والفخري طبعة أوربة ، ص ٣٠٥ وما يليها ، وقال المسمودي إن الجبشاري ألف في المقتدر كتاباً نحو ألف ورقة .

(٥) يرى بعض المؤرخين أن الصقالبة دخلوا الإسلام قبل هذا ، ولكن شيخ الربوة ، في نجة الدهر ط . لبسك ١٩٢٣ ص ٢٦٣ ، يوافق ما جاء في رواية ابن فضال فيقول : « وأما البلغار فنسبوا إلى الصقيع ، وهم مسلمون أسلموا أيام المقتدر ، وبث منكم إلى المقتدر يطلب فقهاً يعرف قواعد الإسلام -

شرائع الإسلام ، ويبنى له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته^(١) ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب^(٢) إلى ما سأل من ذلك .

وكان السفير له^(٣) نذير الحرمي^(٤) فندبتُ أنا^(٥) لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلمين^(٦) . وسبب له بالمال المحمول إليه ، لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلمين ، على الضيعة المعروفة « بأرتخشميتين »^(٧) من أرض « خوارزم »^(٨) من ضياع ابن الفرات^(٩) .

- فأجابه إل ذلك . ثم وصل جماعة من البلنار إل بغداد يريدون الحج ٤٠٠ - وياقوت ١ / ٧٢٣ يذكر اسلامهم في عهد المقتدر ويقول إنه لم يقف على السبب في اسلامهم .

(١) في ياقوت ١ / ٧٢٣ : « في جميع بلده وأنظار مملكته » .

(٢) في الأصل المخطوط : « أجيب إل » بنير فاه المطف ، وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « فأجيب إل ذلك » ولهذا أضفنا الفاء .

(٣) في الأصل : « وكان السفير به » - وفي ياقوت ، بالصفحة المذكورة : « وكان السفير له » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « نذير الخزمي » بالراء المعجمة ، وفي ابن قفري بردي ط . أوربة ٢ / ١٨٤ : « نذير الحرمي » بالراء المهملة - انظر ابن جرير الطبري طبعة مصر ١٢ / ٣٠ وقد جاءت في بعض المصادر الخزمي بالخاء المعجمة .

(٥) في الأصل : « ندبت أنا » ولا معنى لها : فلعلها : « فندبت أنا » - وفي ياقوت : « فبدأت أنا بقراءة » ولكننا لا نلقي بما يريد الكاتب ، والمنشرفون يقرحون صواباً كثيرة ، لا نرى اثباتها هنا .

(٦) يضيف ياقوت هنا ١ / ٦٨ : « ليفيض عليهم الخلع ويعلمهم الشرائع الاسلامية » وهي من عند ياقوت بنير شك .

(٧) في الأصل : « بأرتخشميتين » وهي مصحفة وصوابها كما في ياقوت ١ / ١٩١ : « أرتخشميتين » بالفتح ثم السكون وتاء مفتوحة ، وخاء معجمة مضمومة وشين ساكنة معجمة وميم مكسورة وتاء مفتوحة ونون : - مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ، في قدر نصيبين ، وهي من أعمال خوارزم من أعمالها ، بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة أيام ، فيها برد شديد . ولعلها أصبحت مدينة في عهد ياقوت ، بعد ثلاثة قرون ، وقد زارها بنفسه ، ويرى المستشرق فراي أنها : « Artahusmitan » .

(٨) انظر في خوارزم معجم ياقوت ٢ / ٨١ ، وخوار مناهل الهم ووزم مناهل الحيز .

(٩) ابن الفرات هو أبو الحسن علي بن الفرات ، من أجل الناس وأعظمهم كرمًا لزمانه ، كان وزيراً -

وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبد الله ابن باشتو الخزري^(١) . والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي^(٢) مولى نذير الحري ، وتكين التركي ، وبارس الصقلابي^(٣) وأنا معهم — على ما ذكرت — فسلمت إليه الهدايا ، له ولأمرأته ولأولاده ، وإخوته ، وقواديه^(٤) ، وأدوية كان كتب إلى « نذير » يطلبها .

-
- للمقتدر خلال الفتنة بين وبين ابن المتمر ، ثم قبض عليه المقتدر ، وصادر ضياعه ، وهذه بيننا ، فبسطها هنا جارية للبعثة - انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري ، طبعة مصر ١٢٠٦ هـ ، والفخري طبعة أوربة م ٣١٤ .
- (١) في الأصل : « باشتوا » ولم نلف على ترجمة له .
- (٢) في الأصل : « سوسن الروسي » - وفي المصادر : « الرمي » ، ولعله حاجب المكتفى ، سمي نسبة إلى نهر الرس ، وهو عند الإدريسي نهر اتل أي الفولغا عند الروس .
- (٣) هو بارس الحاجب غلام اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ، جاء ذكره في ابن حوقل ٢ / ٧١ ، قال إنه هرب من مولاة أحمد بن اسماعيل ، فنزل العراق بعدة هالك السلطان ، والخليفة إذ ذاك المقتدر ، فلم يكن بمحضرة السلطان جيش مثله يوازيه . انظر كذلك تجارب الأمم ٥ / ٤ .
- (٤) سنرى فيما بعد أنه ذكر تسليم الهدايا من العليب والنياب والخواؤ ، ولم يذكر الأدوية . وهو هنا يروى في البدء ما فعله خلال الرحلة ، فقد كتب لقريره هذا أو رسالته بعد عودته من مهمته وقيامه بما كلف به .

[العجم والأتراك]

فرحلنا من « مدينة السّلام » يومَ الخميس لاحدى عشرة ليلة [في فارس] خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة^(١). فأقمنا « بالنهروان »^(٢) يوماً واحداً ورحلنا مُجَدِّين حتى وافينا « الدّسكرة »^(٣) فأقمنا بها ثلاثة أيّام . ثم رحلنا قاصدين لا نلوي^(٤) على شيء حتى صرنا إلى « حلوان »^(٥) فأقمنا بها يومين .

وسرّنا منها إلى « قَرَميسين »^(٦) فأقمنا بها يومين . ثم رحلنا فسرنا حتّى وصلنا إلى « همدان »^(٧) فأقمنا بها ثلاثة أيّام .

-
- (١) ذكرنا في المقدمة أن هذا التاريخ يوافق ٢٠ حزيران (يونية) ٩٢١ .
 (٢) النهروان : أكثر مايجري على الألسنة في ضبطها بكسر النون ، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي ، كما في ياقوت ١ / ٨٤٦ .
 (٣) الدسكرة ، في ياقوت ٢ / ٥٧٥ ، قرية كبيرة بنواحي نهر الملك من غربي بغداد .
 (٤) في مخطوطتنا : « لاناكون على شيء » ولعل صوابها : « لا نلوي على شيء » وقد كرر هذا التعبير فيما بعد مرة أخرى .
 (٥) 'حلوان' : (بالضم ثم السكون) - حلوان العراق ، في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد ، كما في ياقوت ٢ / ٣١٧ .
 (٦) قَرَميسين : (بالفتح ثم السكون) - تريب كرهان شاه ، بلد معروف بينه وبين همدان ثلاثون فرسخاً ، قرب الدينور ، وهي بين همدان وحلوان ، على طريق الحاج ، نزهة عذبة الماء ، كما في ياقوت ٤ / ٦٩ ، فابن فضلان كان بذلك طريق الحاج .
 (٧) همدان : مدينة بالجيل . وصفها ياقوت ٤ / ٩٨١ ، وتحدث عن بردها الشديد في حكايات طويلة .

ثم سِرْنَا حَتَّى قَدَمْنَا « سَاوَة » ^(١) فَأَقَمْنَا بِهَا يَوْمَيْنِ ؛ وَمِنْهَا إِلَى « الرِّي » ^(٢) ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، نَتَنَظَّرُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَا صَلُوكَ ^(٣) لِأَنَّهُ كَانَ « بِخُورِ الرِّي » ^(٤) .

ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « خُورِ الرِّي » فَأَقَمْنَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « سِمْنَان » ^(٥) . ثُمَّ مِنْهَا إِلَى « الدَّامَنَان » ^(٦) ، وَصَادَفْنَا بِهَا « ابْنَ قَارَن » ^(٧) مِنْ قَبْلِ « الدَّاعِي » ^(٨) ، فَتَنَكَّرْنَا فِي الْقَافِلَةِ ، وَسَرْنَا مُجِدِّينَ حَتَّى

(١) ساوَة : ذكرها ياقوت ٣ / ٢٤ ، وقال أنها مدينة حسنة بين الرمي وهمدان ، في وسط بينهما وبين كل واحد من همدان والرمي ثلاثون فرسخًا

(٢) الرمي : ذكرها ياقوت ٢ / ٨٩٢ ، وقال أنها قصبة بلاد الجبال ، بينها وبين نيسابور ١٦٠ فرسخًا ، وهي من أعلام المدن ، محطّ الحاج على طريق السابلة ، قرب « طهران » الحالية .

(٣) جاء في التواريخ أنه أحمد بن علي صلوك ، قد أفعال الماؤون بأصبهان وقم ، وكان يلي الرمي ، انظر تجارب الأمم ٥ / ٥٠ وصلة عريب ٢٧ ، وابن جوير الطبري ١٢ / ٢٧ .

(٤) خُور : بضم أوله - ذكرها ياقوت ٢ / ٤٧٩ ، وقال أنها مدينة كبيرة من أعمال الرمي ، بينها وبين سمنان للقاصد إلى خراسان ، بينها وبين الرمي نحو عشرين فرسخًا .

(٥) سمنان : بكسر السين عند أهل الحديث ، ذكرها ياقوت ٣ / ١٤١ ، وقال أنها بلدة بين الرمي وداهقان وبعضهم يسمونها من قومس ، كثيرة الأشجار والأنهار والبساتين .

(٦) دَامَنَان : بفتح الميم والسين ، ذكرها ياقوت ٢ / ٥٣٩ ، وقال أنها بلد كبير بين الرمي وقومس ، كثيرة الفواكه انظر كذلك ابن حوقل ٢ / ٣٨٠ .

(٧) في الأصل : « ابن قارق » بالقف في آخره ، وقد ذكر المؤرخون أحمد أجداده وهو المازيار بن قارن ، وهو هنا العباس بن قارن - انظر ياقوت ٣ / ٢٨٣ ، والطبري ٣ / ١٥٧٥ طبعة أوربة .

(٨) هو الحسن بن القائم الحنفي الداعي ، ذكرته المصادر لأهميته ، ومنها مروج الذهب ، طبعة باريس ٦ / ٩ ، وابن الأثير ط التبرية ٦ / ١٤٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، وتجارب الأمم ٥ / ٣٦ ، وزمابور ، بالترجمة العربية ٢ / ٢٩٣ .

قَدِمْنَا « نيسابور »^(١) ، وقد قُتِلَ « لَيْلَى بنُ نُعْمَانَ »^(٢) فَأَصْبْنَا بِهَا
« حَمَوِيَّة كُوسَا »^(٣) صاحبَ جيش خراسان .

ثم رحلنا إلى « سرخس »^(٤) ثم منها إلى « مرو »^(٥) ثم منها إلى [١٩٧ ط
« قشمان »^(٦) وهي طَرَفُ مَقَاذَةِ « آمَل »^(٧) فَأَقَمْنَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
نُزِيحُ الْجَمَالِ لدخول المفازة .

(١) نيسابور : بفتح النون ، مشهورة ، ذكرها ياقوت ٨٥٧ / ٤ ، وقال أنها مدينة عظيمة ، بينها وبين
الري ١٦٠ فرسخاً .

(٢) قُتِلَ لَيْلَى بنُ النعمان قبل قليل ، فقد جاء في غارِب الأَهم ٥ / ٧٦ ، حوادث سنة ٥٣٠ هـ : « وفيها دخل
رسول صاحب خراسان برأس ليلي بن النعمان الهذلي الذي خرج بطبرستان » ، وقد كان ليلي أحد
فواد أولاد الأطروش العلوي ، وكانت إليه ولاية جرجان ، استعمله عليها الحسن بن القاسم الداعي
سنة ٥٣٠ هـ ، كما في ابن الأثير ٦ / ١٦٧ ط المنبرية .

(٣) حمويه بن علي ، ذكرته التواريخ في أكثر من مكان ، وقد حكم سمرقند سنة ٥٣٠ هـ ، كما في ابن الأثير
٦ / ١٤٥ ، وفي المقدسي ط أوربة ص ٣٣٧ ، أنه كان صاحب جيش امرئ بن أحمد بن إسماعيل وفي ابن
الأثير بعد ذلك ٦ / ١٤٩ : « فتوجه إليها من بخارى حمويه بن علي في عسكر ضخم لهاوتها » .

(٤) سرخس : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الهاء ، ويقال بالتحريك - ذكرها ياقوت ٣ / ٧١ ،
فقال أنها مدينة قديمة من نواحي خراسان ، كبيرة بين نيسابور ومرو ، في وسط الطريق ، بينها وبين
كل واحدة منها ست مراحل .

(٥) مرو : مشهورة ، ذكرها ياقوت ٤ / ٥٠٧ وقال أنها أشهر مدن خراسان ، وبين مرو ونيسابور
سبعون فرسخاً ، ومنها إلى سرخس ثلاثون .

(٦) قشمان : لم تقع عنها في ياقوت بهذا الضبط ، ولعلها : « كشمين » كما ضبطها أبو الفداء في تقويم
البلدان ص ٤٤٦ فقال : « ومن بلاد خراسان كشمين » قال المهلب وهي قرية من أعمال مرو
الشاهجان على خسة فراسخ منها على طرف المفازة « وضبطها ياقوت ٤ / ٢٧٨ فقال : « بالضم ثم السكون
وفتح الميم وياه ساكنة وهما مفتوحة ونون » كشمين ، قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف
البرية آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمَل » فالفرق بينها هو الياه بعد الهاء .

(٧) آمَل : بضم الميم واللام - ذكرها ياقوت ١ / ٦٩ فقال إنها مشهورة ، في غربي جيحون على طريق
القاصد إلى بخارى من مرو ، بينها وبين شاطيء جيحون نحو ميل . ويقال لها آمَل المفازة ، لأن بينها
وبين مرو رملاً صعباً السلك ، ومفازة أشبه بالملك . انظر ابن حوقل ٢ / ٣٨١ حيث يقول إن
آمل اكبر مدن طبرستان ، وهي مستقر ولائها ، وهي أكبر من قزوين .

ثم قطعنا المفازة إلى آمل ، ثم عبرنا « جَيِّحُونَ » وصرنا إلى آفَرِير^(١)
رباط طاهر بن عليّ .

٣

ثم رحلنا إلى « ييَكْنَد »^(٢). ثم دخلنا « بُخَارَا »^(٣) ، وصرنا إلى الجيهاني^(٤) [في بخارى]
وهو كاتب أمير خراسان ، وهو يدعى بِخُرَّاسَانُ الشَّيْخُ العميد ، فتقدّم
بأخذ دارٍ لنا ، وأقام لنا رجلاً يَقْضِي حوائجنا وَيُزِيحُ عَلَانَا^(٥) في كل
ما نريد ، فأقمنا أَيْتَامًا .

(١) في الأصل : « آفَرِير » هكذا ، ولم تقع عليها بهذا الاسم ، ولعلها « آفَرِير » تقع على مقربة من نهر
جيجون بعد آمل ، كما في كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف استرنج ، في الخريطة مقابل صفحة ٤٧٦ ؛
من الترجمة العربية . وقد حار المستشرقون قلنا في ضبطها ولي مكانها ، فاقترح المستشرق « فزاي » أن
تكون « آفَرِيَار » ، ورأى غيره أن تكون « آفَرَنْدِين » وفي ابن حوقل ٢ / ٣٨٤ : من
الري إلى أفريدين مرحلة .

(٢) ييكنند : بالكسر وفتح الكاف ومكون النون - ذكرها ياقوت ٧٩٧/١ وقال : إنها بلدة بين بخارا

وجيجون على مرحلة من بخارا ، كانت كبيرة ، وبها رباطات كثيرة نحو ألف ، خربت منذ زمان .

(٣) بخارا : من أعظم المدن ، ذكرها ياقوت ٧٩١ / ١ ، قال انه يُسَمَّى إليها من آمل الشط ، بينها وبين
جيجون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية بينا وبين سمرقند سبعة أيام . وبينها وبين مرو ١٢ مرحلة .
وهي اليوم من أشهر المدن في أوزبكستان من الولايات السوفيتية .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، ذكره ابن العديم في كتابه بنية الطالب المخطوط ٣١ / ١ ، قال :
« هو وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب الممالك والممالك خاضع ، وقام مكانه كتاب البلدان لابن
الفقيه الحمذاني كما يقول ابن النديم سلخه من كتابه » - وذكره غيره ، فانظر في احسن التقاسيم
للقدسسي ٣٣٧ ، وفي ابن الأثير ط أروبة ٨ / ٢٨٣ ، وفي ياقوت ارشاد الأريب ٢ / ٥٩ ، وذكره
بروكلمان ١ / ٢٢٨ والذيل ١ / ٤٠٧ وقال انه أحمد بن محمد ، وُزِرَ في بخارى ٢٧٩ هـ - ٢٩٥ هـ ،
لنصر بن أحمد الساماني .

(٥) أزاح الطة : تعال خاصة في الجنود الذين يحتاجون الى أمر فتقضي حاجاتهم .

ثم أَسْتَأْذِنُ لَنَا عَلَى نَصْرِ بْنِ أَحْمَد^(١) فدخلنا إليه وهو غلام أمرد ،
فسلمنا عليه بالأمرة ، وأمرنا بالجلوس . فكان أول ما بدأنا به أَنْ
قال : « كَيْفَ خَلَقْتُمْ مَوْلَايَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَسَلَامَتَهُ
فِي نَفْسِهِ وَفِتْيَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ - » قللنا : « بِخَيْرٍ » ، قال : « زَادَهُ اللَّهُ خَيْرًا » .

ثم قُرِئَ الْكِتَابُ عَلَيْهِ بِتَسْلِيمٍ^(٢) « أَرْتَحُشَمِينَ » من الفضل بن
مُوسَى النَّصْرَانِيٍّ وَكَيْلِ ابْنِ الْفُرَاتِ ، وتسليمها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي ،
وانفاذا ، والكتاب إلى صاحبه بخوارزم بترك^(٣) العرض لنا ، والكتاب
بياب التُّرْكِ يَذْرُقُنَا^(٤) وترك العرض لنا .

فقال : « وَأَيْنَ أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى ؟ » قللنا : « خَلَفْنَاهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِيُخْرِجَ
خَلْفَنَا لَخَمْسَةِ أَيَّامٍ » . فقال : « سَمِعًا وَطَاعَةً لِمَا أَمَرَ بِهِ مَوْلَايَ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - » .

(١) نصر بن أحمد بن نصر الساماني ، أحد الملوك المشهورين في السامانية وهو صاحب خراسان - كان في
الثامنة من عمره حين قتل أبوه ، حكم من سنة ٣٠١ - ٣٢١ هـ .

(٢) في الأصل : « بتسليم » ونعلتها كما رسمنا .

(٣) في الأصل : « بترك » - والعرض : كل شيء سوى الدرهم والدنانير من الماع .

(٤) بذرفة : اتخذ الدليل أو الخراس ، كما في تكملة معجم العرب لدوزي ، ١/٦٠ ، وهنا يعني أن غرس
البمئة بجنود يحمونها وهي « Escorte » بالافرنجية ، وفي شرح القاموس أن بذرفة تكون بالذال
المجبة والمهمة معاً ، وأنها مركبة من بد ، وراء والمعنى الطريق الرديء ، فارسية معربة .

قال :

وَأَصْلُ الْخَبِيرِ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى النَّصْرَانِيَّ وَكَيْلَ ابْنِ الْفُرَاتِ ،
فَأَعْمَلَ الْحِيلَةَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَالِ الْمُعَاوِنِ ^(١)
بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ مِنْ جُنْدِ سَرْخُسَ إِلَى بَيْكَنْدَ : « أَنْ أَذْكَوَا الْعَيُونَ عَلَى
أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْخَانَاتِ وَالْمَرَاصِدِ ^(٢) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ صِفَتِهِ
وَنَعْتِهِ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيَمْتَقِلْهُ ^(٣) إِلَى أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا بِالْمَسْئَلَةِ » .
فَأَخَذَ بَمَرِّوٍ وَأَعْتَقِلَ .

وَأَقْمَنَّا نَحْنُ بِيَخَارَا ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى
أَيْضًا وَاطِّاعًا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُونَ : « إِنَّ
أَقْمَنَّا هَجَمَ الشِّتَاءُ وَفَاتِنَا الدُّخُولُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى إِذَا وَافَانَا ^(٤)
لَحِقَ بِنَا » .

(١) عامل المعاوين ، أو صاحب المداون أو عامل المعونة ، وهو قائد الشرطة أو الأمن ، كما في تكملة معاجم
الدرب لدوزي ١٩٢ / ٢ .

(٢) المرصد : مركز جنود الجمارك والخراس للحدود على الدروب والأمن ، كما في معجم دوزي ١ / ٣٣٢ هـ
والمرصد هو الجندي المكلف بحراسة الحدود وأمن الطرق وسؤال المسافرين - وأذكي على الرجل
العيون : أرسل عليه الطلائع .

(٣) في الأصل : « فليمتلله » - ولعلها « فليمتلله » بتقديم الالف على اللام ، كما يرد بعد كلمات ، حيث
يقول : « واعتقل » .

(٤) في الأصل « وافلنا » وهي خطأ من النسخ ، وصوابها « وافانا » .

قال :

ورأيتُ الدرام يُبخارا^(١) ألواناً شتى . منها دراهم يُقال لها
 الغطريفية^(٢) : وهي نحاس وشبه^(٣) وصفر ، يُوخذ منها عدد بلا وزن ،
 مائةٌ منها || بدرهم فِضة . وإذا شروطهم في مهر نسائهم : تزوّج [١٩٨ و]
 فلان ابنُ فلانٍ فلانة بنتَ فلان على كذا وكذا ألف درهم غطريفية .
 وكذلك أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم ، لا يذكرون غيرها من الدّراهم .
 ولهم دراهم أخرى^(٤) صفر وحده : أربعون^(٥) منها بدائق . ولهم أيضاً دراهم
 صفر يُقال لها السمرقندية ستة منها بدائق .

* * *

- (١) تحدث ياقوت عن الدرام ببخارا كذلك فقال ١ / ١٩٠ هـ : « وكانت معاملة أهل بخارا في أيام السامانية
 بالدرام . ولا يتعاملون بالدينار فيما بينهم . فكان الذهب كالسلع والمروخ . وكان لهم دراهم يسمونها
 الغطريفية من حديد وصفر وآنك ، وغير ذلك من جواهر مختلفة ، وقد ركبت ، فلا تجوز هذه
 الدرام إلا في بخارا ونواحيها وحدها » انظر الحضارة الإسلامية لمتز ، بالمريسة . ٢ / ٣١٧ ،
 والاصطخري ٣١٤ ، ٣٢٣ .
- (٢) الدرام الغطريفية أو الغطارفة ، وهي دراهم كانت متبعة جداً في بخارا ، ضربها غطريف بن عطاء عامل
 خراسان لهد الرشيد . والدرهم يساوي ستة دوائق ، والدائق يساوي اثني عشر قيراطاً - انظر
 تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٢١٦ ، والمصادر السابقة المذكورة .
- (٣) الشَّبه : محرّكة ، النحاس الأصفر كالشبه بكسر الشين وسكون الباء ، والصفر مثله .
- (٤) في الأصل « دراهم أخذ » وهي مصحفة عن كلمة « دراهم آخر » واسمتمل التعبير نفسه ياقوت ١ / ١٠٩ هـ .
 في الكلام عن بخارا وامل الجملة تنقيح حين يقول « من الصفر وحده » على شكل أجل وفي طبعة
 وليدي : « وحده أربعين » .
- (٥) في الأصل : « أربعين منها » ولعلها خطأ من الناسخ .

٤

[خوارزم في]

فلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَكَلَامَ غَيْرِهِ يُحَذِّرُونَنِي^(١) مِنْ هَجُومِ الشَّتَاءِ ، رَحَلْنَا مِنْ « بُخَارَا » رَاجِعِينَ إِلَى النِّهَرِ ، فَتَكَارَيْنَا^(٢) سَفِينَةً إِلَى « خُوَارِزْمِ » ، وَالْمَسَافَةُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَكْتَرَيْنَا مِنْهُ السَّفِينَةَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ فَرَسَخٍ ، فَكُنَّا نَسِيرُ بَعْضُ النَّهَارِ ، وَلَا يَسْتَوِي لَنَا سَيْرُهُ كُلُّهُ مِنَ الْبَرْدِ وَشِدَّتِهِ ، إِلَى أَنْ قَدَمْنَا « خُوَارِزْمَ » .

فَدَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِهَا « مُحَمَّدِ بْنِ عِرَاقِ خُوَارِزْمِ شَاهِ^(٣) » فَأَكْرَمَنَا وَقَرَّبَنَا وَأَنْزَلَنَا دَارًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَحْضَرْنَا ، وَنَظَرْنَا فِي الدُّخُولِ إِلَى بَلَدِ التُّرْكِ ، وَقَالَ : « لَا آذَنُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا يَحِلُّ إِلَيَّ تَرْكُكُمْ تُفَرِّزُونَ بِدِمَائِكُمْ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا حِيلَةٌ أَوْقَعَهَا هَذَا الْغَلَامُ ، - يَعْنِي تَكِينًا - لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَنَا حَدَادًا وَقَدْ وَقَفَ عَلَى يَسْعِ الْحَدِيدِ يَبْلُدُ

(١) فِي الْأَمَلِ : « يُحَذِّرُونِي » .

(٢) أَكْتَرَى النَّهْرَ أَكْتَرَاهُ وَتَكَارَاهُ تَكَارِيًا : اسْتَجَرَهُ .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عِرَاقٍ أَمِيرُ خُوَارِزْمٍ ، انْظُرْ فِي شَأْنِهِ ، كِتَابُ الْإِنْدَادِ لِزَامَبُورِ ١٩٢٧ ، ص ٢٠٨ ، وَتَارِيخُ

خُوَارِزْمِ لِحَاوٍ ، وَالْبِيرُونِيُّ ص ٢٤١ .

الكفار^(١)، وهو الذي غرَّ « نذيراً » وحمله على كلام أمير المؤمنين ، وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه . والأمير الأجل - يعني أمير خراسان - كان أحق بإقامة الدَّعوة للأمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً^(٢) . ومن بعد ، فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون ألف قبيلة من الكفار . وهذا تمويه على السلطان ، وقد نصحتكم . ولا بد من الكتاب ، إلى الأمير^(٣) الأجل حتى يراجع السلطان - أيده الله - في المكاتبة ، وتقيمون أنتم إلى وقت يعودُ الجوابُ .

فانصرفنا عنه ذلك اليوم ، ثم عاودناه ، ولم نزل نرفق به ونُداريه ، ونقول : « هذا أمر أمير المؤمنين وكتابه ، فما وجه المراجعة فيه ؟ » حتى أذن لنا ، فأنحدرنا من خوارزم^(٤) إلى « أَلْجَرَجَانِيَّة » وبينها وبين « خوارزم » في الماء خمسون فرسخاً .

(١) وهذا برهن جديد على أن الأتراك كانوا يسمون الصقالبة كفاراً قبل أن يذهب إليهم ابن فضلان واصحابه .

(٢) المحيص : في الأصل ، المهرب ، يقال حاص عن الشر محيصاً ومحيصاً ، عدل وحاد عنه ، والمحيص : الحيد ، وفي القرآن الكريم : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » .

(٣) في الأصل : « أمير الأجل » فأضفنا التعريف على الأمير تصويهاً .

(٤) يقول ياقوت ٢ / ٤٨٠ ان خوارزم ليس اسم المدينة انما هو اسم للناحية يحلها ، فأما القصبه العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية ، وأهلها يسمونها كركانج . ويقول ياقوت في الجرجانية ٢ / ٥٤ انها مدينة عظيمة على شاطئ جيحون ، وهي كركانج فمررت إلى الجرجانية ، وقد رأها ياقوت سنة ٥٦١٦ ، فوصف بردها الشديد ، وقال انه يسكنها قوم من الأتراك والتركان لأيامه ويجدر أن نذه إلى أن ياقوت بدأ ينقل هنا عن ابن فضلان حرفاً حرفاً .

ورأيتُ دراهمَ خُوارِزَمَ مُزَيَّفَةً ، ورمصاصاً^(١) وزيوفاً^(٢) ، وصفراً .
ويسمون الدرهم « طازجة »^(٣) ووزنه أربعة دوانيق^(٤) ونصف .
والصِّيرَفِيُّ منهم يبيع الكعاب^(٥) ، والدوامات ، والدرهم .

[١٩٨ظ] وهم أوحش الناس || كلاماً وطبعاً ، كلامهم أشبه شيء بصياح
الزراير^(٦) . وبها قرية على يوم يقال لها « أردكو »^(٧) « أهلها يقال
لهم « الكردلية » ؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع . وهم يتبرءون
من أمير المؤمنين « عليّ بن أبي طالب » - رضي الله عنه - في دبر^(٨)
كل صلاة .

* * *

- (١) في الأصل : « مزيفة ورمصاص وزيوف وصفر » - وفي ياقوت ٤ / ١٨٤ : « مزيفة ورمصاص وزيوفاً وصفراً » فرائنا أنها من خطأ النسخ في العربية فصولناه .
(٢) الزائف : هو الدرهم الرديء والمردود لفساد فيه ، جمه زيوف . وكان العملة الزائفة ثمنها المحدد جباراً ، وتسمى المزيفة ، لأن الفضة تذاب مع الزئبق - انظر كلمة « زبق » عند الجوهري ، والحضارة الإسلامية لقرن ٢ / ٣١٩ ، ومجلة JRAS ، مقال آمدرود سنة ١٩٠٦ ص ٤٧٩ .
(٣) طازجة : النقية الخالصة ، وهي مغرب قازة ، كما في المغرب لجوالقي ٢٢٩ .
(٤) في الأصل : « أربع دوانيق » وهو ضعف من النسخ صوبناه .
(٥) الكعاب : جمع كعب وهو الدانق الصغير كما في معجم دوزي ١ / ٤٧٨ ومعجم Lane .
(٦) انفس ياقوت حين النقل هذه الجملة كما يحدث عادة عند النسخ : فجاء عنده أن كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع ، وهو يأتي بمد سطر واحد - وأما التشبيه بصياح الزراير ، فقديماً شبه النابغة الشيباني صوت المعجم بمثل ذلك فقال (ديوانه طبعة دار الكتب ١٩٣٢ بمصر ص ٥٣) :
أصوات عجم إذا قاموا بقرينهم كما تصوت في الصبح الخطاطيف

(٧) لم نقف على موقع القرية أو اسم أهلها في المصادر ، فلعلها مصحقتان .

(٨) دبر : عقب كل صلاة .

٥

فأقمنا « بِالْجُرْجَانِيَّةِ » أياماً ، وجد « نهر جيحون » من أوله إلى آخره . وكان سمك الجَمَد سبعة عشر شبراً^(١) ، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق . وهو ثابت لا يتخلخل . فأقام على ذلك ثلاثة أشهر .

فראينا بلدأ ما ظننا إلا أن باباً من الزمهرير قد فُتِحَ عَلَيْنَا منه ، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريع عاصف شديدة^(٢) . وإذا أتعف الرجل من أهله صاحبه ، وأراد برّه قال له : « تعال إليّ حتى نتحدث^(٣) » فإنّ عندي ناراً طيبة . هذا إذا بالغ^(٤) في برّه وصِلَته . إلا أن الله تعالى قد لطف بهم في الخطب وأرخصه عليهم : حمل عجلة من حطب الطاغ^(٥)

(١) وصف ياقوت نهر جيحون ١ / ١٧١ ، وذكر تجمده فقال : « حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار » . ولذلك كذب ابن فضال من وقال : ٢ / ٨٤ : « وهذا كذب منه فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار ، وهذا يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة . شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد - والجيب أن السمك عند ابن فضال هنا هو « سبعة عشر شبراً » وينقل ياقوت فيقول : « تسعة عشر شبراً » .
(٢) ويعلق ياقوت على هذا الكلام كذلك فيقول ٢ / ٨٥ : « قت : وهذا أيضاً كذب ، فإنه لو لا ركود الهواء في الشتاء في بلاد ما عاش فيها أحد » .

(٣) في الأصل المخطوط : « حتى يتحدث » وصوابها ما رسمنا .

(٤) في الأصل : « بلغ في برّه » ولعل صوابها ما وضعناه .

(٥) فسّر ياقوت الكلمة فقال : « الطاغ وهو الغضا » ، وهي تركية معربة ، ولكن ياقوت بضيف ٢ / ٨٥ : « قلت : وهذا أيضاً كذب ، لأن العجلة أكثر ما تجرّ عليها ما اختبرته وحما قاشاً لي عليه ألف رطل »

بدرهمين من دراهمهم^(١) تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل .

ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب ، بل يدخل إلى دار^(٢) الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلي ، ثم يقول : « يكند » يعني الخبز^(٣) . [فإن أعطوه شيئاً أخذ وإلا خرج]^(٤) .

* * *

وتطاول مقامنا « بالجرجانية » ، وذلك أننا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال . وكان طول مقامنا من جهة^(٥) البرد وشدته . ولقد بلغني أن [رجلين ساقا]^(٦) اثني عشر رجلاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحرقة^(٧) ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد .

-
- (١) في الأصل : « من دارهم » وصوابها كما في ولدي : « من دراهمهم » .
 (٢) في مخطوطتنا : « الدار الواحد » فصرنا ما أفداه الناسخ .
 (٣) يدلق ياقوت كذلك فيقول : « قلت أنا : وهذا من رسم صحيح إلا أنه في الرسة في دون المدينة ، شاهدت ذلك » - ثم ينصهر ياقوت ما عند ابن فضلان من وصف البرد ، وقال إنه نفسه أراد أن يكتب هناك فجمد المداد ، ووضع الشربة على شفتيه فالتصقت لجودها - انظر ص ٩٩ حيث يقول أن « يكند » بلنة خوارزم .
 (٤) هذه الزيادة من ياقوت لتام العبارة والسياق .
 (٥) في مخطوطتنا : « من جهت » بالناء المفتوحة ، ذكرناها لنصور ضعف النسخ وسوء إقامه بالدرية .
 (٦) في مخطوطتنا : « بانني أن اثنا عشر رجلاً » ولا من لها ، فأضفنا ما بين المقوفتين تنمة لسياق وصححت العدد .
 (٧) الحرقة : بالقفم - ما يقيم فيه السقط عند القدح من خرقة أو نسيج أو نحوهما ، والنسيج أصول البردى إذا جف ، وهي ، الحرقاق - والقداحة : جبر اللدح ، وقيل الحديرة التي يقدح بها .

ولقد رأيتُ لهواء بردها^(١) بأن السوق بها والشوارع لتخلو^(٢) حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق ، فلا يجدُ أحداً ولا يستقبله إنسان . ولقد كنت أخرجُ من الحَمَام ، فإذا دخلت إلى البيت نظرتُ إلى لحيتي وهي قطعةٌ واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها^(٣) إلى النار .

ولقد كنت أنام^(٤) في بيت جوف^(٥) بيت ، وفيه قبة لبود^(٦) تركية وأنا مدترٌ بالأكسية والفرى^(٧) ، فربما التصق خدي على المخدة .

ولقد رأيتُ || الجبابَ بها تكسى البوستينات^(٨) من جلود الغنم لثلاً^(٩) [١٩٩و] تنشق وتنكسر ، فلا يعني ذلك شيئاً .

(١) اقترح احد المستشرقين هنا رواية : « رأيت لاهراثا » ولا نرى رأيه .

(٢) في غطوطتنا : « ليخلوا » أثبتناها صورة لاملاء الناسخ وخطه ، وههنا كثير .

(٣) في طبة وليدي : « كنت أذيتها » ولا تستقيم به الصارة .

(٤) في الأصل : « ولقد كنت أيام » وقد جعلها وليدي في طبعته كذلك .

(٥) الجوف من البيت وغيره : داخله ، جمه أجواف .

(٦) اللبد : كل شعر أو صوف متلبد ، سمي به للصوق بهضمه يبعث جمه ألباد ولبنود ، وهو كذلك بساط من صوف .

(٧) كذا في الأصل ، ولعلها الفراء جمع فروة ، وهي شيء نحر الجبة ، بطائنه يطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والثعالب والسمور . وقيل هي كساء يتخذ من أوبار الأبل .

(٨) يرى ده خويه أنها « پوست » ، ودوزى : « پوستين » وهي من الجلد الغليظ ، كالمبابة أو المظف الكبير .

(٩) في طبة وليدي : « لثلا تنشق وتنكسر » .

ولقد رأيتُ الأرضَ تنشق فيها أوديةً عظاماً لشدة البرد ، وأنَّ
الشجرةَ العظيمةَ العاديةَ لتنفلق بتصفين لذلك .

* * *

فلما انتصفَ شوال من سنة تسع وثلاثمائة ، أخذَ الزَّمانُ في التَّغْيَرِ ،
وانحَلَّ « نهر جيجون » ، وأخذنا نحن فيما نحتاج إليه مِنْ آتَةِ السَّفَرِ
واشترينا الجمالَ الثَّرَكِيَّةَ ، واستعملنا السَّفَرَ^(١) من جلود الجمال لعبور^(٢)
الأنهار التي نحتاج أن نعبرها في بلد الترك ، وتزودنا الخبزَ والجوارسَ^(٣)
والنمكسوذ^(٤) لثلاثة أشهر .

وَأَمَرْنَا مَنْ كُنَّا نَأْنَسُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بِالِاسْتِظْهَارِ^(٥) فِي الثَّيَابِ
وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . وَهَوَّلُوا عَلَيْنَا الْأَمْرَ وَعَظَمُوا الْقِصَّةَ . فَلَمَّا شَاهَدْنَا
ذَلِكَ كَانَ أَضْعَافُ مَا وَصَفَ لَنَا . فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنَّا عَلَيْهِ قُرْطُقٌ^(٦) ،

(١) السَّفَرُ : جمع سفرة ، وهي المركب أو السفينة .

(٢) في مخطوطتنا : « من الخلو والجمال لميون » - وهي مصحفة قطعاً ، فلا تدغم بها عبارة ولا يقوم لها
معنى ، فرأينا أن تكون السفن من جلود الجمال لعبور الأنهار ، وصوبناها محاذين على رسم الحروف .
وفي طبعة وليدي : « لميون الأنهار » وهو خطأ .

(٣) الجوارس حبّ معروف يؤكل مثل الدهن ، معرب كاورس ، وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصغر ،
وهو يشبه بالأرز ، ويدثر البول ويمك الطيبة ، وذلك كما جاء في فاج المروس .

(٤) النمكسوذ : يفتح النون والميم وسكون الكاف - لحم مجفف من غير تقديد ، انظر تكلة المعاجم
لدوزي ٢ / ٧٢٦ ، وده خوية في المكتبة الجغرافية ٤ / ١٦٨ .

(٥) استظفر الرجل : احتاط .

(٦) قرطق : بالفم فالفتح ثم فتح الطاء - مرر كرتة ، وهو قيس أو مطف قصير يصل إلى منتصف الجسم
كما في معجم دوزي لللابس ٣٦٢ .

وفوقه خِفْتَانٌ^(١)، وفوقه بوسيتين، وفوقه لبّادَةٌ^(٢) وبرنس^(٣)، لا تبدو منه إلّا عيناه^(٤)، وسراويل^(٥) طاق، وآخر مبطن، وران^(٦)، وخُفٌّ كيمَخْت^(٧)، وفوق الخُفِّ خُفٌّ آخر. فكان الواحد منا إذا ركب الجمل لم يَقْدِرْ أَنْ يتحركَ لما عليه من الثياب.

وتأخَّرَ عَنَّا الفقيه والمعلم والغلمان^(٨) الذين خرجوا معنا من مدينة السَّلام، فرعاً مِنَ الدُّخُولِ إِلَى ذَلِكَ البلد. وسرت أَنَا والرسول وسلف له، والغلمان تكين وبارس^(٩).



- (١) خِفْتَان: استعمله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان «أي الجاكيت»، وهو صدرية تحت الثياب، وقد حلَّ محلّ الملابس الدرية، انظر معجم الملابس لدوزي ١٦٣، وفراي ٣٢.
- (٢) اللبّادَة: بالقم وتشديد الباء، ما يلبس من اللبود وقاية من المطر والبرد.
- (٣) برنس: هو في القاموس كل ثوب رأسه منه، دراعة كان أو جبة أو سمطراً، وهو مصنف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس، كما في معجم الملابس لدوزي ٧٤.
- (٤) في مخطوطتنا: «عصيناه» ولم نجد لها موصفاً، فاملأها كما رسمنا، لأن البرنس يغطي الوجه والرأس ولا تبدو إلّا العينان.
- (٥) السراويل: لباس يستمر النصف الأسفل من الجسم، فارسيّ معرب، وهي مؤنثة وقد تذكر، جمعها سراويلات، وقيل السراويل جمع سراويل أو سروالة انظر الحضارة الإسلامية لمتز ١٨٦/٢ والطاق: ضرب من الثياب بغير جيب، يلبسه المولود غالباً، وقيل هو الطبلسان، ولكنه هنا فيما نرى أنه بغير بطانة.
- (٦) ران: نوع من الأحذية، جمه رانات.
- (٧) كيمَخْت: بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم - فارسي، نوع من الجلد له من جلد الخيل كما في تكملة المعاجم لدوزي ٥٠٦/٢.
- (٨) لم يذكر أسماء هؤلاء في بدء الرحلة، ولانصرف من هم ومناهجهم، وهل في البعثة فقيه غير ابن فضلان؟!
- (٩) في مخطوطة الأصل: «فارس» وصحبها ما مرّ بنا من قبل وشرحناه «بارس الصقلاني» - ولكن طبعة وليدي ترجمه «فارس».

فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المسير قلتُ لهم : « يا قوم ، معكم غلام أملك ، وقد وقف على أمركم كله ، ومعكم كتبُ السلطان ، ولا أشك [أنَّ] ^(١) فيها ذِكرُ توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية ^(٢) له . وتصيرون ^(٣) إلى ملك أعجبي فيطالبكم بذلك فقالوا : « لا نخشَ من هذا فإنه غير مطالب لنا » . فحذرتهم ، وقلتُ : « أنا أعلم أنه يطالبكم » . فلم يقبلوا .

وأستدَفَّ ^(٤) أمر القافلة ، وأكثرتنا دليلاً ، يقال له « قلاوس » ^(٥) من أهل « الجرجانية » . ثم توكلنا على الله - عز وجل - وفوضنا أمرنا إليه .

* * *

-
- (١) أضفناها نجدة للنس وبدونها يصح الكلام كذلك .
- (٢) في الأصل : « دينار المسيبة » وصوابها بالياء الثانية بعد الاء - وفي ياقوت ١ / ١٩٠ هـ عن بخارا : « وكانت سكنها تصاور وهي من ضرب الاسلام . وكانت لهم دراهم اخر تسمى المسيبة والمعدية .
- (٣) في المخطوطة : « يصيرون » وصوابها ما وضنا . ولم يشرح ابن فضال في تفصيل نية القوم في اخفاء الدراهم أو في اقتسامها وحجبها عن الملك ، ولكن الباق يدل على ذلك .
- (٤) استدَفَّ الأمر : أي استتب واستقام ، وهي بالدال والدال ، واستدَفَّ هنا تنبأ ، وأمكن وتسل .
- (٥) في مخطوطتنا : « قلاوس » - ويرى المشرق فراي أن تكون « قلاوس » لا رأى من نعوص شبيبة واحاء قريبة في المنطقة ، ولعلها كلمة فارسية - وفي طبعة وليدي : « قلاوس » .

٦

ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . فתרلنا رباطاً يقال له « زبحان »^(١) || وهو يباب الترك ، [١٩٩ظ] ثم رحلنا من القد فنزلنا منزلاً يقال له « جيت »^(٢) ، وجاءنا الثلج حتى مَشَتْ الجمالُ إلى ركبها فيه . فأقمنا بهذا المنزل يومين .

ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوى على شيء ، ولا يلقانا أحد ، في برية قفر ، بغير جبل . فسيرنا فيها عشرة أيام ، ولقد لقينا من الضر والجهد ، والبرد الشديد ، وتواصل الثلوج الذي كان برد « خوارزم » عنده مثل أيام الصيف ، ونسينا كل ما مر بنا ، وأشرفنا على تلف الأنفس .

ولقد أصابنا في بعض الأيام برد شديد ؛ وكان « تكين » يُسأِرُنِي^(٣) وإلى جانبه رجل من الأتراك ، يكلمه بالتركية ، فضحك « تكين » وقال : « إن هذا التركي يقول لك : أي شيء يريد ربنا منا ، هو ذا

(١) الرباطات كثيرة ، ولم تقع على اسم هذا الرباط ، وأصلنا كلمة « ياب » فبعملناها « يباب » .

(٢) في الأصل : « جنب » - ويقترح ولدي أن تكون : « جيت » .

(٣) سآيره : جاره وسارمه .

يقتلنا بالبرد ، ولو علمنا ما يريد لرفعناه^(١) إليه . فقلت له : « قُلْ له يريد منكم أن تقولوا : (لا إله إلا الله) » . فضحك وقال : « لو علمنا لفعلنا » .

ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه من حطَب الطاغ شيء عظيم ، فَنَزَلْنَاهُ ، وَأَوَقَدْتَ الْقَافِلَةَ وَأَصْطَلَّوْا ، وَنَزَعُوا ثِيَابَهُمْ وَشَرَّرُوهَا .

ثم رحلنا ، فما زلنا^(٢) نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو [إلى]^(٣) الظهر ، بأشد سِرٍّ يَكُونُ وَأَعْظَمِهِ ، ثم نَنزِلُ^(٤) .

فَلَمَّا سَرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ^(٥) لَيْلَةً وَصَلْنَا إِلَى جَبَلٍ عَظِيمٍ ، كَثِيرِ الْحِجَارَةِ ، وَفِيهِ عَيُونٌ تَنْجَرِفُ عِبرُهُ وَبِالْحُفْرَةِ [نَسْتَقِرُّ] الْمَاءَ^(٦) .

* * *

(١) في الأصل : « لرفعناه » - ولعلها كما يرى أحد الملقين : « لدفعناه » .

(٢) في الأصل : « فما زلنا » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) في المخطوطة : « أول الظهر » ولا معنى لها وهي كما رسمنا .

(٤) وهو تصحيف آخر في المخطوطة : « نزل » ونحن نرسم هذا لبيان حال الناسخ .

(٥) وهنا جبل بالنحو حيث يرسم الناسخ : « خمسة عشر ليلة » فصورناها .

(٦) هنا عبارة غامضة رسمت كما يلي : « وفيه عيون تنجرف عبر وبالحفرة الماء » - وهي بغير نقط ، فعام

المستشرقون حول تصحيحها فرأى الروسي ٩٧ أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عبر وبالحفرة الماء »

ويرى الهجري ٢٣٨ : « عيون تنجرف غدير وبالحفرة » - ونحن نرمي أن تكون : « وفيه عيون

تنجرف عبره وتستقر بالحفرة الماء » - وفي طبعة وليدي : « وفيه عيون تنجرف عنه وبالحفرة الماء » .

وهذا التعبير استعمله الجغرافيون لوصف العيون التي تنحدر إلى البحيرة ، انظر خريدة المجانب

لابن الوردي ص ٨٥

٧

فَلَمَّا قَطَعْنَاهُ أَفْضِينَا^(١) إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ يُعْرَفُونَ بِالْفَزَّةِ^(٢) . وَإِذَا
 هُمْ بِبَادِيَةٍ ، لَهُمْ بُيُوتٌ شَعْرٌ ، يَحْلُونَ وَيَرْتَحِلُونَ ، تَرَى مِنْهُمْ الْأَيَّاتَ فِي مَكَانٍ ،
 وَمِثْلَهَا فِي مَكَانٍ آخَرَ ، عَلَى عَمَلِ الْبَادِيَةِ وَتَنْقَلِبُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ فِي شَقَاءٍ . وَهُمْ
 مَعَ ذَلِكَ كَالْحَمِيرِ الضَّالَّةِ لَا يَدِينُونَ لِلَّهِ بِدِينٍ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى عَقْلِ ، وَلَا
 يَعْبُدُونَ شَيْئًا ، بَلْ يُسَمُّونَ كِبْرَاءَهُمْ أَرْبَابًا . فَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُهُمْ رَئِيسَهُ فِي شَيْءٍ
 قَالَ لَهُ : « يَا رَبِّ إِيشْ أَعْمَلْ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ » (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ^(٣))
 غَيْرَ أَنَّهُمْ مَتَى اتَّفَقُوا عَلَى شَيْءٍ وَعَزَمُوا عَلَيْهِ^(٤) جَاءَ أَرْذَلُهُمْ وَأَخْسَهُمْ فَفَقَضَ
 مَا قَدْ أَجْمَعُوا^(٥) عَلَيْهِ .

(١) في المخطوطة : « فلم قطعنا وافضينا » وهي تصحيف صوبناه .

(٢) في ياقوت ١ / ٨٤٠ : « وذكر أحمد بن محمد الهمداني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال : لم
 نزل نسمع بالأهم التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفرة الفزّة ، والتفزّة
 والحزلية » - وفي الاصطخري ، طبعة لندن ص ٩ : « وديار الأتراك متميزة . فأما الفزّة فإن
 حدود ديارهم ما بين الحزر وكميك » وفي دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ١٧٨ لبرتولد أن الفزّة
 سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا وإلى الدانوب ، وعمرها شرقي أوروبا
 والبلجوفيون جاءوا من الفزّة .

(٣) انظر القرآن الكريم سورة شوري ٤٢ / ٣٨ وقامها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة
 وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(٤) وفي الأصل : « ثم جاء » فعذنا « ثم »
 (٥) في الأصل وفي ولدي : « ما قد جموا » فرأيت أن نرسمها كما ترى .

وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، تَقَرُّبًا بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَى مَنْ يَجْتَازُ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا اعْتِقَادًا لِذَلِكَ. وَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ جَرَى عَلَيْهِ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «يِرْ تَنَكْرِي» وَهُوَ بِالْتُرْكِيَّةِ «اللَّهُ الْوَاحِدُ»^(١). لِأَنَّ «يِر» بِالْتُرْكِيَّةِ: «وَاحِدٌ»؛ وَتَنَكْرِي: «اللَّهُ» بِلُغَةِ التُّرْكِ. وَلَا يَسْتَنْجُونَ مِنْ غَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ؛ وَلَا يَغْتَسِلُونَ مِنْ جَنَابَةٍ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ عَمَلٌ، خَاصَّةً فِي الشِّتَاءِ. وَلَا يَسْتَتِرُ نِسَاؤُهُمْ مِنْ رِجَالِهِمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ. وَكَذَلِكَ لَا تَسْتَرِ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَدْنِهَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

* * *

وَلَقَدْ نَزَلْنَا يَوْمًا عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَجَلَسْنَا، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ مَعَنَا، فَبَيْنَا هِيَ تُحَدِّثُنَا إِذْ كَشَفَتْ فَرْجَهَا وَحَسَكْتَهُ^(٢). وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهَا فَسَتَرْنَا وَجُوهَنَا، وَقُلْنَا: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ» فَضَحِكَ زَوْجُهَا، وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: «قُلْ لَهُمْ تَكْشِفُهُ بِحَضْرَتِكُمْ فَتَرَوْنَهُ وَتَصُونُونَهُ»^(٣) فَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ، هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَغْطِيَهُ وَتُمْكِنَ مِنْهُ.

(١) فِي الْأَمْلِ الْمَخْطُوطِ: «اللَّهُ بِالْوَاحِدِ» وَلَيْسَ فِي الْجُمْلَةِ التُّرْكِيَّةِ حَرْفُ جَرٍّ، فَاسْلُهَا «اللَّهُ الْوَاحِدُ».

(٢) نَحْنُ نَسْتَفْظِعُ الْفِعْلَةَ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ، وَلَكِنْ الْقَدَمَاءُ فَمَا ظَهَرَ لَنَا مَ يَكُونُوا عَلَى مِثْلِ نَظَرِنَا، لِذَلِكَ أَبْقَيْنَا أَعْيَانَنَا فِي النَّصِّ، وَأَمَّا بَأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِي الدِّينِ.

(٣) فِي الْأَمْلِ: «وَتَصُونُونَهُ» - وَيَقْتَرِحُ وَيُلْدِي أَنْ تَكُونَ: «وَتَصُونُونَهُ».

وليس يعرفون الزنا . وَمَنْ ظَهَرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَعْلِهِ شَقَوهُ
بِنِصْفَيْنِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَغْصَانِ شَجَرَتَيْنِ ، ثُمَّ يَشْدُونَهُ بِالْأَغْصَانِ ،
وَيُرْسِلُونَ الشَّجَرَتَيْنِ فَيَنْشَقُّ الَّذِي شَدَّ إِلَيْهِمَا ^(١) .

وقال بعضهم ، وسمعتني [أقرأ] ^(٢) قرآناً ، فاستحسن القرآن ، وأقبل
يقول للترجمان قل له : « لَا تَسْكُتْ » . وقال لي هذا الرجل يوماً على
لسان الترجمان : « قل لهذا العربي : أَلَيْبُنَا عِزٌّ وَجَلُّ أَمْرًا ؟ ! فاستعظمتُ
ذلك ، وسبحت الله ، واستغفرته ؛ فسبح واستغفر كما فعلت . وكذلك
رَسَمُ التركي كلما سمع المسلم يسبح ويهمل قال مثله .

* * *

٨

ورسوم تزويجهم ، وهو أن يخطب الواحدُ منهم إلى الآخر بعضَ حرمه ،
إِما ^(٣) ابنته أو أخته أو بعضَ مَنْ يملك أمره ، على كذا وكذا ثوب
خوارزمي ، فإذا وافقه ^(٤) حملها إليه ، وَرَبَّما كان المهر جالاً ^(٥) أو دواب

(١) في الأصل : شيالها « ولما بها كما وضعنا .

(٢) أضفنا الفعل للسياق .

(٣) في الأصل المخطوطة : « أنا ابنته » وهي تصحيف من غير شك وصوابها : « إياها » .

(٤) في الأصل المخطوط كذلك : « فإذا وافاه » ولعلها : « فإذا وافقه » أو وافقه « أو لعله يريد أن

يقول : « فإذا وافاه بما طلب » ، أو « وفاه ما طلب » .

(٥) أخضاً النسخ في النحر فجعلها « جال » ضرابها .

أو غير ذلك . وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصِّداق الذي قد واقف وليها عليه ، فإذا وقاه إياه جاء غير مُحْتَشِمٍ حتى يَدْخُلَ إلى المنزل الذي هي فيه ، فيأخذها بحضرة أبيها وأُمها وإخوتها ، فلا يمنعون من ذلك .

[٢٠٠ظ] وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من ولده || بامرأته إذا لم تكن أمه . ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يفتسل من جنابة بحضرتهم إلا ليلاً من حيث لا يرونه . وذلك أنهم يفضبون ويقولون : « هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تفرس^(١) في الماء » ، ويفرمونه مالا .

ولا يقدر أحد^(٢) من المسلمين أن يجتاز ببلدهم حتى يحمل له منهم صديقاً ينزل عليه ، ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ، ولا مرأته مقنعة^(٣) ، وشيئاً من فلفل^(٤) ،

(١) في الأصل : « تفرس » بالعين بعد التاء ، وصوابها تفرسنا ، وتفرس الرجل إذا ثبت وأمل ونظر ، في الأصل .

(٢) في المخطوطة « أحدهم من » وهو سهو من قلم الناسخ حين رسم « من » زائدة فحذفها .

(٣) المقنعة : غطاء من قماش يحمله الرجل والمرأة على رأسها ، ولها برقع على وجه النساء ، كما في معجم اللابس لدوزي ٣٧٧ - وفي ابن بطوطة طبعة باريس ٢ / ٣٨٨ في الحديث عن البلغار في القولا ، فوله : « وعلى رأس الوزيرة والحاجية مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر » .

(٤) يقول ياقوت عن الفلفل ٣ / ٥٣ : « فساهت نباته ، وهو شجر عادي لا يزول الماء من نخته ، فإذا هبت الريح تساقط حبه » وما يزال الفلفل يستعمل إلى اليوم .

وَجَاوَرَسَ ، وَزَيْدِيبَ ، وَجَوْزَ ، فَلِذَا قَدِمَ عَلَى صَدِيقِهِ ضَرَبَ لَهُ قُبَّةً ^(١) ،
وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَمِ عَلَى قَدَرِهِ ، حَتَّى يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُ ذُبْنَهَا لِأَنَّ التُّرْكَ
لَا يَذْبَحُونَ وَإِنَّمَا يَضْرِبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رَأْسَ الشَّاةِ حَتَّى تَمُوتَ .

* * *

وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الرَّحِيلَ ^(٢) وَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ جِمَالِهِ
وَدَوَابِّهِ أَوْ أَحْتَاجَ إِلَى مَالٍ تَرَكَ مَا قَدَّمَ عِنْدَ صَدِيقِهِ التُّرْكِي ، وَأَخَذَ مِنْ
مِنْ جِمَالِهِ وَدَوَابِّهِ وَمَالَهُ حَاجَتَهُ ، وَرَحَلَ . فَإِذَا عَادَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَقْصُدُهُ
قَضَاءَ مَالِهِ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ جِمَالَهُ وَدَوَابِّهِ .

* * *

وَكَذَلِكَ لَوْ أَجْتَازَ بِالتُّرْكِيِّ إِنْسَانٌ لَا يَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : « أَنَا ضَيْفُكَ ، وَأَنَا
أُرِيدُ مِنْ جِمَالِكَ وَدَوَابِّكَ وَدِرَاهِمَكَ » دَفَعَ إِلَيْهِ مَا يَرِيدُ . فَإِنْ مَاتَ التَّاجِرُ
فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ ، وَعَادَتِ الْقَافِلَةُ لِقِيَمِهِمُ التُّرْكِيُّ ، وَقَالَ : « أَيْنَ ضَيْفِي ؟ »
فَإِنْ قَالُوا : « مَاتَ » حَطَّ الْقَافِلَةُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَنْبَلِ تَاجِرٍ يَرَاهُ فِيهِمْ ، فَحَلَّ
مَتَاعَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَخَذَ مِنْ دِرَاهِمِهِ مِثْلَ مَالِهِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّاجِرِ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ
حَبِيَّةً ، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ مِنْ دَوَابِّهِ وَجِمَالِهِ ، وَقَالَ : « ذَلِكَ ابْنُ عَمِّكَ ،

(١) القبة : بالضم - بناء سقفه مستدير مقعر ، مملوء بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة ، جها قباب وقب .

(٢) في الأصل بالخطوطة : « الرجل » وهي تصحيف بلا شك فلا معنى لها ، وأما صوابها مارسنا لأن الجملة
بمدها تفسر المراد حين يقول : « ورحل » .

وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ غُرْمٍ عَنْهُ « وَإِنْ فَرَ فَعَلَ أَيْضًا ذَلِكَ الْفَعْلَ . وَقَالَ لَهُ :
 « ذَلِكَ مُسْلِمٌ مِثْلُكَ ، خَذْ أَنْتَ مِنْهُ » . وَإِنْ لَمْ يُوَافِقِ الْمُسْلِمَ ضَيْفُهُ
 فِي الْجَادَةِ ^(١) ، سَأَلَ عَنْ بِلَادِهِ ^(٢) : « أَيْنَ هُوَ » فَإِذَا أُرْشِدَ إِلَيْهِ سَارَ فِي
 طَلَبِهِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ ، وَيَرْفَعُ مَالَهُ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ مَا يُهْدِيهِ لَهُ .
 وَهَذِهِ أَيْضًا سَبِيلُ التُّرْكِيِّ إِذَا دَخَلَ « الْجُرْجَانِيَّةَ » سَأَلَ عَنْ ضَيْفِهِ
 فَتَزَلَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ . وَمَتَى مَاتَ التُّرْكِيُّ عِنْدَ صَدِيقِهِ الْمُسْلِمِ ، وَاجْتَازَتْ
 الْقَافِلَةُ فِيهَا صَدِيقَهُ قَتَلُوهُ ، وَقَالُوا : « أَنْتَ قَتَلْتَهُ بِحَبْسِكَ إِيَّاهُ ، وَلَوْ
 لَمْ تَحْبِسْهُ لَمَاتَ » . وَكَذَلِكَ إِنْ سَقَاهُ نَبِيذًا ^(٣) فَتَرَدَّى مِنْ حَائِطٍ ^(٤) قَتَلُوهُ
 بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَافِلَةِ عَمِدُوا إِلَى أَجَلٍ مِنْ فِيهَا فَقَتَلُوهُ .

* * *

وَأَمْرُ اللُّوَاطِ عِنْدَهُمْ عَظِيمٌ جَدًّا . وَلَقَدْ نَزَلَ عَلَى حَيٍّ « كَوَذَرُ كَيْنِ »
 — وَهُوَ خَلِيفَةُ مَلِكِ التُّرْكِ — رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ « خَوَارِزْمِ » فَأَقَامَ عِنْدَ ضَيْفٍ

(١) يرى أحد المستشرقين أن تكون الكلمة هنا : « فِي انْجَادِهِ » ، وَلَكِنْ الْجُمْلَةُ وَاضِحَةٌ لَمَّا أَنَّ الْمُسْلِمَ لَمْ يُوَافِقْ فِي طَرِيقِهِ أَوْ فِي قَالَتِهِ ضَيْفَ التُّرْكِيِّ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثَةِ » وَلَا مَعْنَى لَهَا ، فَارْتَأَى أَحَدُ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَنَّ تَكُونُ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثِهِ أَوْ ثَلَاثِهِ أَوْ سَائِهِ » . وَلَكِنَّا نَرَى مَا وَضَعْنَا أَقْرَبَ لِلِسِّيَاقِ .

(٣) النَّبِيذُ : مَا تَبَذَّ مِنْ عَصِيرِ وَغَوَّه ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَنْبَذُ أَيْ يَتْرَكَ حَتَّى يَشْتَدَّ وَيُلْقَى فِي الْجُرَّةِ حَتَّى يَفُلَّ جَمْعُهُ أَتْبَذَةً — وَفِي التَّاجِ : « يُقَالُ لِلْخَمْرِ الْمُتَهَوِّجَةِ مِنَ الْعَنْبِ نَبِيذٌ » .

(٤) تَرَدَّى : سَقَطَ .

له مدة في ابتياع غنم . وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزمي يُداريه ويرأوده عن نفسه حتى طأوعه على ما أراد . وجاء التركي فوجدهما في بنيانِهِما ، فرفع التركي ذلك إلى « كوذركين » فقال له : « اجمع الترك » فجمعهم ، فلما ^(١) اجتمعوا ، قال للتركي ^(٢) : « بالحق تحب أن أحكم أم بالباطل » ؟ قال : « بالحق » قال : « أحضر ابنك » ، فأحضره . فقال : « يحب عليه وعلى التاجر أن يقتل جميعاً » ، فامتعض التركي من ذلك ، وقال : « لا أسلم أبني » . فقال : « فيفتدي التاجر نفسه » ففعل . ودفع للتركي ^(٣) غنماً للفعل بابنه . ودفع ^(٤) إلى « كوذركين » أربع مائة شاة لما رفع عنه ، وارتحل عن بلد الترك .

* * *

٩

فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينال الصغير ^(٥) - وقد كان

(١) في المخطوطة : « فبا » وصوابها ما درستنا .

(٢) في الأصل : « قال التركي » والصواب أن يكون القائل كوذركين للتركي ، والسياق يدل على ذلك في الجملة بعدما .

(٣) وهنا في الأصل : « ودفع التركي » وصوابها أن الذي دفع هو الخوارزمي .

(٤) في الأصل : « ورفع إلى » ولعلَّ صوابها : « ودفع » والذي بث الاضطراب في النص هو تكرار كلمة « رفع » .

(٥) هو في تراجمهم : « كرجوك ينال » - وهو ولي العهد - انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٣ . (٧)

أَسْلَمَ - فقيل له : « إنَّ أَسْلَمْتَ لم ترؤسنا^(١) » ؛ فرجع عن إسلامه .
 فلما وصلنا إلى الموضع الَّذي هو فيه ، قال : « لا أترككم تجوزون لأنَّ
 هذا شيء ما سمعنا به قطُّ ، ولا ظننا أَنَّهُ يكونُ » . فرفقنا به إلى أن
 رضي بِخَفْتَانِ جرجاني يُساوي عشرة دراهم ، وشقةٍ باي باف^(٢) ، وأُقراصٍ
 خبز ، وكفٍّ زبيب ، ومائةٍ جوزة . فلما دفعنا هَذَا إليه سجد لنا .
 وهذا رسمهم إذا أكرمَ الرجلُ الرجلَ سجد له ، وقال : « لولا أن يوتي
 نائية^(٣) عن الطريق لملتُ إليكم غنماً وبراً^(٤) » وانصرف عنا وارتحلنا .
 فلما كان من غد لقينا رجلاً واحداً مِنَ الأتراك ، دميمٌ الخلق ، رثٌ
 الهيئة ، قميء المنظر ، خسيس المخبر ، وَقَدْ أَخَذَنَا مَطَرٌ شديدٌ فقال :
 « فِقُوا » . فوقفت القافلة بأسرها - وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة
 آلاف رجل - ثم قال : « ليس يَجُوزُ منكم أَحَدٌ » . فوقفنا طاعةً
 لأمره . فقلنا له : « نحن أصدقاء كُودركين » . فأقبل | يضحك ويقول :
 [٢٠١ ظ] « مَنْ كُودركين ؟ أنا أخرى^(٥) عَلَى لِحْية كُودركين » . ثم قال :

(١) رؤس الرجل يرؤس رؤسة كان رئيساً . ولعل صوابها : « لن ترؤسنا » .

(٢) في الأصل : « باي باف » وهو خطأ ، والباي باف : لباس للمرأة ، - وفي أحسن التقاسيم للهدسي ،
 ط . اوربة ، ص ٣٢٣ : « وأما التجارات فترفع من نيبابور ثياب البيض الحقة والبياف ، والمهائم
 الشهبانية الحقة والمقانع » .

(٣) في المخطوطة : « بيوتي ناية » وهي مصحفة ، وصوابها : اوضناه .

(٤) البُرُّ : بالضم - اللقم ، والواحدة بُرَّة .

(٥) في الأصل : « أما أخرى » وصوابها ما كتبنا .

« يكند » : يعني الخُبْزَ بِلُغَةِ خَوَارِزْم . فدفعْتُ إليه أَقْرَاصًا فَأَخَذَهَا وَقَالَ :
« مُرُّوا قَدْ رَحِمْتُمْ » .

* * *

قَالَ :

وَإِذَا مَرَضَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ لَهُ جَوَارٌ وَعَبِيدٌ خَدَمُوهُ وَلَمْ يَقْرَبْهُ
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَيَضْرِبُونَ لَهُ خِيْمَةً ، نَاحِيَةً مِنَ الْبُيُوتِ ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا
إِلَى أَنْ يَمُوتَ أَوْ يَبْرَأَ . وَإِنْ كَانَ عَبْدًا أَوْ فَقِيرًا رَمَوْا بِهِ فِي الصَّحْرَاءِ
وَارْتَحَلُوا عَنْهُ .

وَإِذَا مَاتَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَفَرُوا لَهُ حَفِيرَةً كَبِيرَةً كَهَيْئَةِ الْبَيْتِ وَعَمَدُوا
إِلَيْهِ فَأَلْبَسُوهُ قَرِطِقَهُ ^(١) وَمِنْطَقَتَهُ وَقَوْسَهُ ^(٢) . . . وَجَعَلُوا فِي يَدِهِ قَدْحًا مِنْ
خَشَبٍ فِيهِ نَبِيذٌ ، وَتَرَكَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَاءً مِنْ خَشَبٍ فِيهِ نَبِيذٌ . وَجَاءُوا
بِكُلِّ مَالِهِ فَجَعَلُوهُ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ . ثُمَّ أَجْلَسُوهُ فِيهِ فَسَقَفُوا الْبَيْتَ عَلَيْهِ ،
وَجَعَلُوا فَوْقَهُ مِثْلَ الْقُبَّةِ مِنَ الطِّينِ ، وَعَمَدُوا إِلَى دَوَابِّهِ عَلَى قَدَرِ كَثَرَتِهَا ،
فَقَتَلُوا مِنْهَا مِئَةَ رَأْسٍ إِلَى مِائَتَيْ رَأْسٍ إِلَى رَأْسٍ وَاحِدٍ ، وَأَكَلُوا لَحْمَهَا إِلَّا
الرَّأْسَ وَالْقَوَائِمَ وَالْجُلْدَ وَالذَّنْبَ ، فَإِنَّهُمْ يَصْلُبُونَ ذَلِكَ عَلَى الْخَشَبِ . وَقَالُوا :
« هَذِهِ دَوَابُّهُ يَرْكَبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ » . فَإِنْ كَانَ قَتَلَ إِنْسَانًا وَكَانَ شَجَاعًا نَحَتُوا

(١) فِي الْأَمَلِ : « قَرِطِقَتُهُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بَيَاضٌ فِي الْمَخْطُوطَةِ قَدَرِ كَلِمَةٍ .

صوراً من خشب على عدد مَنْ قَتَلَ ، وجعلوها على قبره ، وقالوا : « هؤلاء غلمانہ يخدمونه في الجنة » ! ..

وربما تغافلوا ^(١) على قتل الدواب يوماً أو يومين ، فيحشُّهم ^(٢) شيخ من كبارهم فيقول : « رأيتُ فلاناً - يعني الميتَ - في النوم فقال لي : « هو ذا تراني وقد سبقني أصحابي وشُقِّقَت ^(٣) رجلاي من أتباعي لهم ، ولست ^(٤) ألحقهم ، وقد بقيت وحدي » . فمَندها يمدون إلى دوابه فيقتلونہا وبصلبونها عند قبره . فإذا كانَ بعدَ يومٍ أو اثنين جاءهم ذلك الشيخ وقال : « قد رأيتُ فلاناً وقال : عَرَّفَ أهلي وأصحابي أنَّي قد لحقتُ ^(٥) مَنْ تقدَّمَنِي ، واسترحتُ من التعب » .

* * *

١٠

قال :

والترك كلهم ينتفون لحام إلا أسبلتهم ^(٦) . وربما رأيتَ الشيخ الهرم

(١) كذا في الأصل ، ولعلها « عن قتل » .

(٢) في الأصل : « فحشهم » .. وفي طبعة ولدي : « فحشهم » ولعلها كما رسمنا .

(٣) يرى المشرق انجري أن تكون : « شفت » وشملت الرجل خرجت بها الشفتات ، وهي فرجة في أسفل القدم - ولكنت لا ترى وجوباً لذلك .

(٤) في الأصل : « وكب »

(٥) في المخطوطة : « لحقتهم » وهي من التامع ، صوبناها .

(٦) أسبله وسبال : جمع سبله ، وهو الشارب .

منهم ، وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين . فإذا رآه إنسان من بُعد لم يشك أنه تيس .

|| وملكُ الترك الغزبية يقال له : « يبنغو »^(١) وهو اسم الأمير ، وكل من [٢٠٢ و] ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يُسمى ، ويقال لخليفته « كوذركين » ، وكذا كل من يخلف رئيساً منهم يقال له : « كوذركين » .

ثمَّ نزلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب^(٢) جيشهم ، ويقال له : « أترك بن القطغان » ، فضرب لنا قباباً تركية ، وأنزلنا فيها^(٣) وإذا له ضبنة^(٤) وحاشية ، وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنماً ، وقاد^(٥) دواب ، لنذبح النعم ونركب الدواب ، ودعا هو جماعة^(٦) من أهل بيته وبني عمه فقتل لهم غنماً كثيرة .

وكنا قد أهدينا إليه هدية من ثياب ، وزبيب ، وجوز ، وفلفل ، وجاوزس ، فرأيت امرأته وقد كانت امرأة أييه ، وقد أخذت لحماً ولبناً

(١) يبنغو لقب لكثير من ملوك الأتراك - انظر مفاتيح العلوم ص ٧٣ حيث يقول ان جيويه هو ملك الغزبية .

(٢) في الأصل «صاحب جيشهم» فأضفنا الباء - وفي طبعة وايدى : «عند صاحب» - وهو سباني في مفاتيح العلوم .

(٣) في الأصل : « وأنزلنا فيه » .

(٤) كلمة لم تنل في الأصل ، فلعلها : « صبية » أو لعلها : « ضبنة » وهي على وزن فرجة ، الميال يضطربهم الرجل في كنفه وناحيته ، يقال خرج في ضبنته أي في أهله وعياله .

(٥) في الأصل : « وقادوا دواباً » ولعلها كما رسمنا .

(٦) في الأصل : « وجماعة » .

وشيثاً مما أتحفناه^(١) به ، وخرجت من البيوت إلى الصحراء فحفرت حفيرةً ودفنت الذي كان معها فيها ، وتكلمت بكلام ، فقلت للترجمان : « ما تقول » ؟ قال : « تقول هذه هدية للقطعان أبي^(٢) أترك ، أهداها^(٣) له العرب » . فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبة جالس ، ومعنا كتاب نذير الحرمي^(٤) إليه ، يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ، ووجه إليه خمسين ديناراً ، فيها عدة دنائير مسيية^(٥) ، وثلاثة مثاقيل مسك ، وجلود أديم وثياب^(٦) مروية ، وقطعنا له منها قرطقين^(٧) وخف أديم ، وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير ، فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً .

وقرأت عليه الكتاب فقال للترجمان : « لست أقول لكم شيئاً حتى ترجعوا^(٨) » وأكتب إلى السلطان بما أنا عازم عليه . ونزع الديباجة التي كانت عليه ليلبس الخلع - التي ذكرنا - فرأيت القرطق الذي

(١) في الأصل : « ألقنا » فرأينا أن تكون : « أتحفناه به » .

(٢) في الأصل : « أبو اترك » .

(٣) في الأصل : « أهدوها » فصورناها .

(٤) في الأصل هنا : « نذير الحرميين » وهي سهو من الناسخ ، وقد مرّ بنا اسم في صدر الرسالة وعلقنا عليه في الحاشية .

(٥) كذلك صحت كلمة « مسينة » وصوابها « مسيية » وقد مرت بنا وشرحناها .

(٦) في الأصل : « وثوبين مروية » فأصلحناها ، وهي نبة إل مرو .

(٧) في المخطوطة : « منها قرطبين » فصورناها .

(٨) في المخطوطة : « حتى ترجعون » .

تحتها و [قد] ^(١) تقطع و نسخا ، لأن رسومهم أن لا ينزع الواحد منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً ، وإذا هو قد تنف لحيته كلها وسباله ، فبقي كالخادم . ورأيت الترك يذكرون أنه أفرسهم ولقد رأيت يوماً وهو يسايرنا ^(٢) على فرسه إذ مرت وزرة طائرة فأوتر قوسه ، وحرك دابته تحتها ، ثم رمها فإذا هو قد أنزلها .

* * *

فلما كان في بعض الأيام وجّه خلف القواد الذين يلونه وهم : طرخان ، وينال ، وابن أخيهما ، وإيلنغز ^(٣) . وكان طرخان أنبلهم وأجلهم ، [٢٠٢ظ] وكان أعرج أعمى أشل ، فقال لهم : « إن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ^(٤) ، ولم يُخَيَّر لي أن أطلقهم إلا عن مشورتكم » . فقال طرخان : « هذا شيء ما رأيناه قط ، ولا سمعنا به ، ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذكنا نحن وآباؤنا ^(٥) . وما أظن إلا أن السلطان قد

(١) زدها للباق - وفي طبعة وليدي : « تقطع » .

(٢) في الأصل : « وهو يسايرنا » ولعلها كما صوبت .

(٣) قطعت الكتف هنا وبقي منها ما غص رسه : « وإن حبها وفقر » - فعملناها كما تراه لنا في قربه من اسمهم التركية - وفي طبعة وليدي يقترح : « وابن اخته » .

(٤) رأينا أن الناسخ رسم هذا الاسم في صدر الرسالة « الحسن بن بطوار » وعرفنا أن ياقوت رسمه كما جاء هنا ، وقد علقنا على أقوال العلماء فيه في الحاشية والمقدمة بإيضاحنا عن الإعادة هنا - وفي ياقوت ٧٢٣/١ « المسمى بن شلكي بطوار » .

(٥) ولعل هذا دليل آخر على أن بقعة ابن خلدون هي الأولى من نوعها ، وأن رجالها هم أول من وطئ البلاد وزارها من قبل بغداد .

أَعْمَلَ الحِيلَةَ ووجه هؤلاء إلى الخَزَرِ لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَيْنَا ، والوجه أَن يَقْطَعَ هؤلاء الرسلُ نصفين نصفين ونأخذ ما معهم .

وقال آخَرُ مِنْهُمْ : « لَا بَلْ نَأْخُذُ مَا مَعَهُمْ وَنَتْرَكُهُمْ عُرَاةً يَرْجِعُونَ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا » . وقال آخَرُ : « لَا ، وَلَكِنْ لَنَا عِنْدَ مَلِكِ الْخَزَرِ أَسْرَاءُ فَنَبْعَثُ بِهِؤْلَاءِ تُقَادِي بِهِمْ أَوْلَئِكَ » . فَمَا زَالُوا يَتَرَاكِعُونَ بَيْنَهُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ الْمَوْتِ ، حَتَّى أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ ^(١) عَلَى أَن يَخْلُوا سَبِيلَنَا ، وَنَمْضِي . فَخَلَعْنَا عَلَى « طَرْخَانَ » خَفَتَانًا مَرْوِيًّا ^(٢) ، وَشَقَتَيْنِ بَايَ بَافَ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ | كُلِّ وَاحِدٍ | ^(٣) قَرِطَقًا ^(٤) ، وَكَذَلِكَ عَلَى « يِنَالٍ » . وَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ فَلَقْلًا وَجَاوِرْسَ ، وَأَقْرَاصًا مِنْ خَبَرٍ . وَانْصَرَفُوا عَنَّا .

* * *

١١

وَرَحَلْنَا حَتَّى صَرْنَا إِلَى « نَهْرِ يَغْنَدِي » ^(٥) فَأَخْرَجَ النَّاسُ سَفَرَهُمْ ^(٦)

-
- (١) في المخطوطة : « أَجْمَعَ دَأْبُهُمْ » وصوابها ما كتبنا .
 (٢) في الأصل : « خَفَتَانِ مَرْوِي » وهي خَطٌّ ، فَأَصْلَحْنَاهَا مِنْ حَيْثُ النُّحُو ، وَهِيَ نَسَبَةٌ كَذَلِكَ إِلَى مَرْو - كَمَا رَقِيلٌ قَلِيلٌ - .
 (٣) ناقصة أضفناها لتتام العبارة .
 (٤) في الأصل : « قَرِطَقِ قَرِطَقِ » وحقها النصب .
 (٥) في المخطوطة : « نَهْرُ يَغْنَدِي » - وهو نهر يَغْنَدِي أَوْ يَنْدِي كَمَا فِي مَقَالَةِ الْمُسْتَشْرِقِ فَرَّاسٍ مِنْ ٢٦ أَذِيرْسَه Jazindi وهو الآن نهر زَايَنْدِي Zavindi ، فَرْعُ نَهْرِ كِيَمَ Emha - انظر تعليق الطبعة الروسية من ١٠٠ .
 (٦) قلنا أَنَّ السَّفَرَ هِيَ جَمْعُ سَفَرَةٍ ، الْمَرْكَبُ أَوْ السَّفِينَةُ ، وَعَلَّانَا بِأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ جُلُودِ الْجَمَالِ . كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَضْلَانَ نَفْسَهُ هُنَا - انظر استمهال السفر في الكامل لابن الأثير ٩/ ٣٣٤ (سنة ٦١٧ هـ) .

وهي من جلود الجمال فبسطوها ، وأخذوا بالأناث^(١) من الجمال التركية لأنها مدوّرة فجعلوها في جوفها ، حتى تمتد ، ثم حشوها بالثياب والمتاع ، فإذا امتلأت جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة ، وأقل وأكثر ، ويأخذون بأيديهم خشبَ الخدنك^(٢) فيجعلونه كالمجاديف ، ولا يزالون يحدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعبّر . فأما الدواب والجمال فإنه يُصاحُ بها فتعبّر سباحةً ، ولا بد أن تعبّر جماعة من المقاتلة ومعهم السّلاح ، قبل أن يعبر شيء من القافلة ، ليكونوا طليعة للناس خيفة^(٣) من « الباشغرد »^(٤) أن يكبسوا الناس وهم يعبرون .

فعبّرنا « يَغْنَدِي » على هذه الصّفة التي ذكرنا . ثم عبّرنا بعد ذلك نهرًا يقال له « جام »^(٥) في السّفَر أيضاً ، ثم عبّرنا « جابخش »^(٦) ، ثم

(١) في الأصل : « بالأناث » ولا معنى لها ، فلعلها : « بالآت » أولعها كما وضع وليدي : « بالأناث من الجمال » .

(٢) شجر الخدنك : هو الخور الأبيض كما في دوزي ، Peuplier .

(٣) في الأصل المخطوط : « خليفة من الباشغرد » ولا نجد لها معنى ، وإنما تقترح أن تكون « خيفة من الباشغرد » تشبيهاً مع السباق ، وهو الخوف من قوم الباشغرد .

(٤) يقول باقوت ١/٦٨ : « أن الباشغرد هم باش جرد أو باش قرد ، من الأتراك ، وهم شر هذه الأقوام ثم يتحدث عنهم فينقل عن ابن فضلان كما سنرى بعد قليل .

(٥) يرى فراي أنه « نهر جيم » Gim وستأخذ عنه تحقيقاته في الأنهار التالية - جاء في مقاله بالإنكليزية ص ٢٦ .

(٦) هو نهر « ساجر » Sagir .

« أذل »^(١) ، ثم « أردن »^(٢) ، ثم « وارش »^(٣) ثم « أختي »^(٤) ، ثم « وتبا »^(٥) .
وهذه كلها أنهار كبار .

* * *

١٢

عند البجناك | ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك^(٦) وإذا هم [نزول]^(٧) على ماء شبيه
[٢٠٣] | بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو^(٨) السُمرة || وإذا هم محلقو^(٩) اللحي ،
فقراء ، خلاف الغزية . لأنني رأيتُ من الغزية من يملك عشرة آلاف دابةً
ومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الشلج تبعدُ

(١) هو الآن نهر « أويل Oyl » .

(٢) هو الآن نهر « زاكساي Zaksibay » على الأغلب .

(٣) لله اليوم باسم نهر « كالداغايتي Qaldagayti »

(٤) لله اليوم فرع من نهر « آسي ساي Agsi say » .

(٥) رسمه في المخطوطة : « وبتا » ويقترح المستشرق أن يقرأ « وتبا » أو « أوتبا » : وهو فرع من الأورال Yaiyq . رسم المستشرق طريق سيره ومكانه .

(٦) البجناك : قبيلة من الأتراك ، من قبائل الفز من الفجق ، وهم في أصلهم من تركستان الصينية ، وكانت مساكنهم في الأورال والقوقاز يجاوز الحزر . وكان الفز في الشمال الشرقي ، وقد طردم الفز حوالي سنة ٨٦٠ للميلاد فلم يصادف ابن فضلان منهم إلا قليلاً - انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ١١٠٧ . Pecenegea ، والفجق كانوا يعيشون في شمالي البجناك ، ووصف ياقوت البجناك ٣ / ٤٤٦ : تفلاً عن أبي دلف مسور بن المهلل - وارجع كذلك إلى نخبة الدهر لشيخ الرتبة ٢٦٤ حيث يقول : « أما الفجق ، فساكنهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ، ولهم عليه مدينة اسمها برداق والبحر ينسب إليها » ودر بند هنا « عفة صعبة ضيقة » وبحر الفجق هو بحر آزوف المشهور بياض في الأصل ملائحة بما ترى تشبهاً مع السباق - وفي طبعة وليدي : « نزلوا على » .

(٨) في الأصل : « شديد » وصوابها مارسنا .

(٩) وقد رسم الناصح كذلك « علقى » خطأ .

بأغلافها تطلب الحشيش ، فإذا لم تجده قضمت الثلج فسمّنت غاية السمن .
 فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلت ، فنزلنا على البجناك يوماً واحداً .
 ثم ارتحلنا فنزلنا على « نهر جيخ »^(١) وهو أكبر نهر رأيناه ، وأعظمه ،
 وأشدّه جرية . ولقد رأيت سُفْرَةً انقلبت فيه ففرق من كان فيها ، وذهبت
 رجال كثير من الناس ، وغرقت عدة جمال ودواب ، ولم نعبّرهُ إلا بجهد .
 ثم سرنا أياماً ، وعبرنا « نهر جاخا »^(٢) ثم بعمده نهر « أرخز »^(٣) ثم
 « باجاغ »^(٤) ثم « سمور »^(٥) ثم « كنال »^(٦) ثم نهر « سوخ »^(٧) ثم نهر « كنجلو »^(٨) .

* * *

١٣

ووقفنا^(٩) في بلد قوم من الأتراك يقال لهم « الباشفرد » ، فحذرناهم
 أشدّ الحذر . وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرم^(١٠) وأشدّهم إقداماً على القتل

(١) كذا رسم في الأصل ، وقد حار المستشرقون في معرفة اسمه ومكانه ، فرأى بعضهم أنه فرع « جيجون »
 وعجز فرأي عن التطبيق عليه .

(٢) نهر جاخا أو جاخان « واسمه الآن جاغان Gagan » ، كما يرى فراي ص ٢٧ .

(٣) نهر أرخز ، له « تالفوكا Talvoka » بين الأورال والقوقاز .

(٤) نهر باجاغ هو الآن « موشا Moca » فرع للقوقاز .

(٥) نهر سمور هو الآن « سامار » أو سَمَار Samar .

(٦) في الأصل : « كبال » وصوابه « كنال » وهو نهر « كينل Kinel » .

(٧) في المخطوطة : « موح » وصوابه « سوخ » وهو « سوك Sok » .

(٨) في الأصل : « كنجلو » ولعله الآن « كوندورشا Qundurea » .

(٩) في المخطوطة عننا : « لوقفتنا » - وفي ياقوت : « ووقفنا » .

(١٠) في الأصل بالمعجمة ، بلعلها : « وأقذرم » بالذال المهملة كما في ياقوت .

يلقى الرجلُ الرجلَ فيفزّر^(١) هامته ، ويأخذها ، ويتركه . وهم يحلقون لحام ، ويأكلون القمل ، يتتبع الواحدُ منهم دَرز^(٢) قُرْطَقَه ، فيقرض القمل بأسنانه . ولقد كانت معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيتُه وجد قملة في ثوبه ، فقصمها^(٣) بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رأيته : « جيد^(٤) » ! وكل واحدٍ منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل^(٥) ويلصقها عليه ، فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو^(٦) قبلها ، وسجد لها ، وقال : « يا رب افعل بي كذا وكذا » ، فقلت للترجان : « سل بعضهم ما حاجتهم في هذا ، ولم جملته ربه ؟؟ » قال : « لآتي خرجت من مثله فلست^(٧) أعرف لنفسي خالقاً غيره » .

ومنهم من يزعم أن له اثني^(٨) عشر ربّاً : للشَّتاء ربٌّ ، وللصيف ربٌّ ،

(١) في المخطوطة : « مور » بغير نقط ، ولعلها : « يفزّر » كما في ياقوت وفزّر بمعنى فتح وشفق وكسر ، يقال فزّر الله وفزّر بمنى قت .

(٢) في الأصل : « درز » - وفي ياقوت : « دروز » - والدَّرز : الارتفاع الذي يحصل في الثوب إذا جمع طرفاه في الحياطة ، فارسي ممرّب ، جمعه دروز ، يقال دق الحياط الدروز ، وما تزال تسمى كذلك الى اليوم .

(٣) قصص القملة بظفره أو بين ظفره : قتلها .

(٤) هذه البارة غامضة في الأصل رسماً الناسخ كما يلي : « وقال الراي حيدر » وقد اقترح فرون هذه الرواية التي وضعتها في النص ، فهي « جيد » أو « جيدة » .

(٥) في المخطوطة عندنا : « الاحليل » - وفي ياقوت : « قد نحت خشبة على فـدر الأكليل » - ونسختنا أصوب ، والسياق يفسر معنى الكلمة فلا حاجة بنا إلى شرحها .

(٦) في نسختنا : « رلقى عـوآ » - وفي ياقوت : « أو لقاء عدو » وهي أصوب ففصناها على ما عندنا .

(٧) في مخطوئتنا : « وليس أعرف » - وفي ياقوت : « فلت أعرف لنفسي موجداً غيره » .

(٨) في نسختنا : « ان له اثنا عشر » وهو من جبل الناسخ بالنحو .

وللمطر رب ، وللريح رب ، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب |
وللماء رب وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ؛ وللأرض رب^(١) .
والرب الذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه^(٢) يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى
كل واحد منهم بما يعمل شريكه . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .
ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفة
تعبد الكراكي^(٤) . فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً^(٥) من أعدائهم [٢٠٣ ظ]
فهمزموهم ، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففرعوا وانهمزمو ، بعدما هزموا ،
فعبدوا الكراكي لذلك . وقالوا : « هذه ربنا و »^(٦) هذه فعالاته . هزم
أعداءنا « فهم يعبدونها لذلك^(٧) .

(١) ذكرت تسعنا ستة أدواب فحسب ، ولكن يافوت ١ / ٤٦٩ زاد فيها حتى بلغت ثلاثة عشر فقال :
« لشتاء رب والصيف رب ، ولقاء رب ، وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ، وللحيات رب ،
وللأرض رب » فأضفنا الناص ٤٤ ، وافترضنا سقوط سطر من النسخ ، لتكرر الكلمة ، وهذا كثير
الوقوع عند من ينسخ مثل هذه العبارة .

(٢) في المخطوطة : « لأنه يجتمع » - وفي يافوت : « إلا أنه » وهي أصوب فبعملناها في المتن .

(٣) في يافوت : « جل ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً » - وقد اقتبس ابن خلدون كلامه
من القرآن الكريم ، ففي سورة الأعراس ١٧ / ٤٢ : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا ينفوا
إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً » .

(٤) الكراكي : طائر يقرب من الوز ، أبتر الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً ، جمه كراكي .

(٥) في الأصل : « أنوما » ويرى ريت أن تكون « قوماً » وهي أصوب .

(٦) في يافوت : « وقالوا هذه ربنا لأنها هزمت أعداءنا فعبدوها لذلك » وافترضنا سقوط هذه الجملة : ليعود
إليها خبر « فعالاته » .

(٧) ويضيف يافوت معلقاً ١ / ٤٦٩ ؛ فيقول انه رأى من الباشقردية في حلب ، وم شقر الشعور والوجوه
جداً ، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة . وذكر موقع بلادهم وسبب اسلامهم وفي كلامه كثير من البعد
عن الواقع .

قال :

وسرنا من بلد هؤلاء فعبونا « نهر جرمشان »^(١) ثم نهر « أورن »^(٢)
ثم نهر « أورم »^(٣) ثم نهر « بايناخ »^(٤) ثم نهر « وتيغ »^(٥) ثم نهر
« نياسنه » ثم نهر « جاوشيز »^(٦) . وبين النهر والنهر - مما ذكرنا -
اليومان والثلاثة والأربعة ، وأقل من ذلك وأكثر .



(١) في الأصل بنهر نطق ، وقد ذكره فراي ص ٢٧ وجعل اسمه « نهر جرمشان Girusan » .

(٢) هو الآن نهر « أورن Uran » .

(٣) هو الآن نهر « أورم Urem » .

(٤) يرى ذكي وليدي أنه نهر « ماينا Mayna » .

(٥) في الأصل بنهر نطق ، وهو الآن نهر أوتكا « I'tka » من الروسية Lidga ، كما يرى كوفالفسكي .

(٦) يرى فراي أنه « أكتاي Aqtay » - وهذه آخر تعليقات المستشرق فراي في مقاله عن الأنهار والمدن .

[الصقالبه]

١٤

فلما كنّا مِنْ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(١) وهو الذي قصدنا^(٢) له على مسيرة يوم [الصقالبة] وليلة ، وجّه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده وإخوته^(٣) وأولاده ، فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا .

فلما صرنا منه على فرسخين تلقّانا هو بنفسه ، فلما رأنا نزل فخرّ ساجداً شكرًا لله - جلّ وعزّ - وكان في كمّته دراهم فنثرها علينا ، ونصب لنا قباباً فنزلناها^(٤) .

وكان وصولنا إليه يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلاثمائة . فكانت المسافة من الجرجانية^(٥) إلى بلده سبعين يوماً . فأقمنا يوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى جعّ الملوك والقواد وأهل بلده^(٦) ليسمعوا قراءة الكتاب .

(١) نقل ياقوت هذا الفصل كذلك إلّا مبعده كما ذكرنا في المقدمة ، بعنوان بلغار / ١ / ٧٢٣ : « وقرأت رسالة عليها أحمد بن فضلان ... » وعليها تقابل ما في نسخةنا - انظر تقويم البلدان ٣١٦ ، نجية الدهر ٢٦١ حيث يحددان موقع بلغار أو بلار .

(٢) في الأصل : « قصدناه » وفي ياقوت : « قصدنا له » .

(٣) في الأصل : « تحت يده وإخوانه » - وفي ياقوت : « تحت يديه وإخوته » .

(٤) في نسخةنا : « فنزلها » وفي ياقوت : « فنزلناها » وهي أمور .

(٥) في ياقوت : « وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً » .

(٦) في ياقوت : « حتى اجتمع ملوك أرضه وخوامه ليسمعوا قراءة الكتاب »

فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نشرونا المطردين^(١) اللذين كانا معنا ،
وأسرَجْنَا الدَّابَّةَ بالسَّرجِ المَوْجَّهَ إِلَيْهِ^(٢) ، وألبسناه السواد^(٣) وعمَّمناه ،
وأخرجتُ كتابَ الخليفة . وقلتُ له : « لا يجوزُ أن نجلس والكتابُ
يقرأ » فقام على قدميه^(٤) هو ومن حَضَرَ مِنْ وجوه أهل مملكته ، وهو
رجل بدينٌ بطينٌ^(٥) جدًّا .

وبدأتُ فقرأتُ صدرَ الكتاب . فلَمَّا بلغتُ منه : « سَلامٌ عَلَيْكَ
فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » . قلتُ : « رُدَّ عَلَى أمير المؤمنين
السلامَ » فردَّ ، وردَّوا جميعاً بأسرهم ، ولم يزل التَّرجُمان يترجم لنا حرفاً حرفاً .
فلما استتمنا قراءته^(٦) كَبَّرُوا تكبيرة^(٧) ارتجت لها الأرض .

ثم قرأتُ كتابَ الوزير « حامد بن العباس^(٨) » ، وهو قائمٌ ؛ ثم أمرته

(١) في نسخة : « المطردين الذين كانا » وفي يافوت : « المطردين الذين كانوا معنا » والمطرد :

بكسر الميم وسكون الطاء - وهو الرابطة والثواء ، يقول الجوهري : « والألوية المطارد ، وهي دون

الأعلام والبنود ، مثل الرابطة » - انظر تكملة المعجم لهدوي ٣ / ٣٤ .

(٢) في نسخة : « الموجه إلينا » - وفي يافوت : « الموجه إليه » .

(٣) من المعلوم أن السواد هو شعار الباسيين ، يشير إليه هنا .

(٤) يختم يافوت هنا فيقول : « فقرأته وهو قائم على قدميه » ثم يجوز فلا يورد صدر الكتاب وردَّ

السلام مما يفصل الأمر فيه ابن فضال .

(٥) البطين : العظيم البطن .

(٦) في النسخة : « قرأته »

(٧) يرى أحد المستشرقين أن تكون هنا : « كبروا تكبيراً » وفي نسخة وليدي : « ارفع » .

(٨) حامد بن العباس ، كان يتولى أعمال السواد ، ثم وُزِرَ للمقتدر ، وكان كريماً مفضلاً ، متجبلاً ، سريع -

بالجلوس ، فجلس عند قراءة كتاب « نذير الحربي » ، فلما استتمته نثر [٢٠٤و] أصحابه عليه^(١) الدراهم الكثيرة . ثم أخرجت^(٢) الهدايا من الطيب والياب والؤلؤ له ، ولأمرأته . فلم أزل أعرضُ عليه وعليها شيئاً شيئاً حتى فرغنا من ذلك . ثم خلعتُ على أمرأته بحضرة الناس ، وكانت جالسةً إلى جنبه ، وهذه سننهم وزينهم^(٣) ، فلما خلعتُ عليها نثر النساء عليها الدراهم ، وانصرفنا .

* * *

فلما كان بعد ساعةٍ وجّه إلينا ، فدخلنا إليه ، وهو في قبة ، والملوك عن يمينه . وأمرنا أن نجلس عن يساره ، وإذا أولاده جلوسٌ بين يديه ، وهو وحده على سريرٍ مغطى بالديباج الرومي^(٤) ، فدما بالمائدة فقدمتُ ، وعليها اللحم المشوي وحده^(٥) .

- الطائش كما يقول ابن العفطلي في الفخري ٣١٥ (طبعة أوربة) وزر عام ٣٠٦ - ٣١١ ، اشغل بالتجارة ثم عظم شأنه ، ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من العمر ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا اللب والخلفة ، وكان المدير للأمور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل - انظر الحضارة الإسلامية لمتز ، بالترجمة العربية ١ / ١٦٤ - وارجع إل ابن جرير الطبري ٢٩ / ١٢ (سنة ٣٠٣) .

(١) في نسخة : « عليه » - وفي ياقوت « علينا » .

(٢) لم نستثنى ابن خلدون الأعمال انفسه بضمير المتكلم المفرد ، وفي ياقوت بضمير المتكلم الجمع ، فيقول : « وارجعنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعتنا على امرأته وكانت جالسة إلى جانبه » - ويلاحظ أن ياقوت يوجز ويختصر فلا يورد البارة بنصها ، ولا يذكر أنواع الهدايا .

(٣) في ياقوت : « سننهم ودأبهم » .

(٤) الديباج الرومي : الحرير الرومي ، مشهور معروف بمجودته في القرن الرابع وكان يحلب إلى بلاد المسلمين من فرسة غالباً ، كما في ابن الفقيه ٢٧٠ ، والحضارة الإسلامية ٢ / ٣٠١ .

(٥) هنا يوجز ياقوت في النقل ، ولكنه يقول : « وعليها لحم مشوي » .

فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطعَ لقمةً وأكلها ، وثانيةً ، وثالثةً ، ثم احتز قطعةً دفعها إلى « سوسن » الرسول . فلما تناولها جاءته مائدةٌ صغيرة فجعلت بين يديه . وكذلك الرسم ، لا يمدُّ أحدٌ يده إلى الأكل حتى يتناولهُ الملكُ لقمةً ، فساعة يتناولها قد جاءته ^(١) مائدة . ثم ناولني فجاءتني مائدة | ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة . ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة [. ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ، ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد .

وأكلنا ^(٢) كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً ، فإذا فرغ من الطعام ^(٣) ، حمل كل واحد منهم ^(٤) ما بقي على مائدته إلى منزله .

فلما أكلنا ^(٥) دما بشراب العسل وهم يسمونه « السجود » ^(٦) ليومه

(١) كذا في الأصل عندنا وهو مضطرب ، وفي ياقوت : « إذا تناولها جاءته مائدة » ، ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ، ثم ناوله الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قدم إلى كل واحد من الذين بين يديه مائدة » وهي عبارة واضحة مستقيمة أثبتناها ليعتد بها القارئ في تصور المراسم عندهم ، وهي قريية عما هي اليوم في الغرب اختصراً منها ما يصلح للسياق ووضعناه في المتن .

(٢) في ياقوت : « وأكل كل واحد منا من مائدة لا يشركه فيها أحد » .

(٣) في ياقوت : « من الأكل » .

(٤) في المخطوطة : « كل واحد منهم ما يبقى على مائدتنا » . وهو تحريف واضح ، وفي ياقوت : « كل واحد منا ما بقي على مائدته إلى منزله » .

(٥) في ياقوت : « فلما فرغنا » .

(٦) السجود أو سرجو وسوجي : لم نجد له ذكراً في مدحنا ، وقد حام حول تفسيره المستشرقون فراءاً أنه الحجر ، ونحن نستبعد أن يشرب الشيخ ابن فضال خراً ، ومع ذلك يقول ياقوت : « فشرب وشربنا قدحاً » .

- انظر ص ١٢٩ التالية وتعليق كانار ص ٨٩ بالترجمة الفرنسية .

وليلته فشرّب قدحاً ، ثم قام قائماً فقال : « هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — » وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه ^(١) ، وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرّات ، ثم انصرفنا من عنده .

* * *

وقد كان يُخَطَّب له على منبره قبل قدومي ^(٢) : « اللهم وأصلح ^(٣) الملك يلطوار ^(٤) ملك بلغار » . فقلتُ : أنا له : « إن الله هو الملك ، ولا يُسمّى على المنبر ^(٥) بهذا الاسم غيره — جلّ وعزّ — وهذا مولك أمير المؤمنين قد رضي ^(٦) لنفسه أن يُقال على منبره في الشرق والغرب : اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . وكذا من كان قبله || من آبائه الخلفاء . وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لَا تُطْرُونِي كَمَا أُطِرَتْ [٢٠٤ظ]

(١) حذف يا قوت هذه الجملة الأخيرة ، فبر هنا يوجز ويختصر من الرسالة .

(٢) في يا قوت : « قبل قدومنا » .

(٣) في مخطوطتنا : « اللهم وأصلح » - وفي يا قوت : « اللهم أصلح » ولا ثبات الواو أو حذفها رجعتا إلى تمايز القدماء في ذلك فرأيتنا في مخطوطة « رسوم دار الخلافة » لاصاني ، بالورقة ١٨٨ أنه من عادة الخطب أن يقال على المنابر : « اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله » فأبقينا الواو هنا ، وإن كانت محذوفة في جلة مشابهة بمد قليل ، ولكنه ثبتا بعد ذلك .

(٤) ذكرنا الصور المختلفة التي قلبها المستشرقون لمعرفة بطلوار ، فبعضهم يرى أنه الباطلوار ، وابطوار ، وبلطوار ، وبال ايدار وفرون قل أن من ملوك التتار ذلك يسمى « ايدار » . وقد شرحنا ذلك مستوفٍ ولكننا نسينا أن نضيف ملاحظة هذا المستشرق وهي أن ملك الروس على الفولغا كان اسمه « ايكور Igore » وقد صفه العرب ، وقال برتولد أن ملك البغار « بطاطون Waldawac » فأصبح الباطلوار .

(٥) في يا قوت : « ولا يجوز أن يخاطب لأحد سماعاً على المنابر » .

(٦) في مخطوطتنا : « قد رضي » - وفي يا قوت : « وصّى » .

النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا [عَبْدٌ فَقُولُوا] عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ «^(١)» .
 فقال لي: « فكيف يجوز أن يخاطب لي ؟ » قلتُ: « بِاسْمِكَ واسمِ أَيْيِكَ » ،
 قال: « إِنَّ أَبِي كَانَ كَافِرًا وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَذْكَرَ اسْمَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَأَنَا أَيْضًا
 فَمَا أَحِبُّ أَنْ يَذْكَرَ اسْمِي ، إِذْ كَانَ الَّذِي سَمَّانِي [بِهِ] ^(٢) كَافِرًا . وَلَكِنْ
 مَا اسْمُ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فقلتُ: « جَعْفَرُ » ، قال: « فَيَجُوزُ أَنْ
 أَتَسْمِيَ بِاسْمِهِ ؟ » قلتُ: « نَعَمْ » . قال: « قَدْ جَعَلْتُ اسْمِي جَعْفَرًا ، واسم
 أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْخَطِيبِ ^(٣) بِذَلِكَ » ففعلت .

فَكَانَ يَخْطُبُ لَهُ : « اَللّٰهُمَّ وَأَصْلِحْ عَبْدَكَ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ بُلْغَارِ
 مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

* * *

١٥

ولما كان ^(١) بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام ، بعث

(١) جاء الحديث النبوي الشريف في الفتح الكبير للبطلي ٣ / ٣٢٩ ، نقله عن البخاري ، وهذا نصه
 فيه : « لَانْطَرُونِي كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » وقد سقطت
 نسختا كلمتين عليها سقطتا لذهول الناسخ فأرجعتهما إل المتن ، وأما يافوت فقد أغفل ذكر الحديث
 فأختصر كما قل في سائر النص .

(٢) زيادة من يافوت - وهنا يتأكد أن اسمه لم يكن الحسن كما صحت النسخة في بدشبا بل « المش » كما قلنا .

(٣) في نسختنا : « إل الخطيب بذلك ففعلت » وهذا تحريف ، صوبناه عن يافوت .

(٤) هذه الصفحة لم ينتهها يافوت ، وأنا يتأنف الدلل عند ذكر العجائب ، فليس فيه أمر المال ووصوله لأنه
 لا يهيم يافوت في مجته .

إِلَيَّ وَقَدْ كَانَ بَلْغُهُ أَمْرَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَمَا كَانَ مِنْ حِيلَةِ النَّصْرَانِيِّ (١) فِي تَأْخِيرِهَا ، وَكَانَ خَبَرُهَا فِي الْكِتَابِ .

فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ أَمَرَنِي بِالْجُلُوسِ فَجَلَسْتُ ، وَرَمَى إِلَيَّ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : « مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْكِتَابِ ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . ثُمَّ رَمَى إِلَيَّ كِتَابَ الْوَزِيرِ ، فَقَالَ : « وَهَذَا أَيْضًا ؟ » قُلْتُ : « أَنَا » . قَالَ : « فَلِمَالِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِمَا مَا فَعَلَ [بِهِ] ؟ » (٢) قُلْتُ : « تَمَذَّرَ جَعْمُهُ ، وَضَاقَ الْوَقْتُ ، وَخَشِينَا قُوَّةَ الدُّخُولِ ، فَتَرَكْنَاهُ لِيَلْحَقَ بِنَا » . فَقَالَ : « إِنَّمَا جِئْتُمْ بِأَجْعَلِكُمْ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْكُمْ مَوْلَايَ مَا أَنْفَقَ لِحُلِّمِ هَذَا الْمَالِ إِلَيَّ ، حَتَّى أَتْبِيَ بِهِ حِصْنًا يَنْعِنِي مِنَ الْيَهُودِ (٣) الَّذِينَ قَدْ اسْتَعْبَدُونِي . فَأَمَّا الْهَدِيَّةُ فَغَلَايِي قَدْ كَانَ يُحْسِنُ أَنْ يَجِيءَ بِهَا » . قُلْتُ : « هُوَ كَذَلِكَ ! إِلَّا أَنَا قَدْ اجْتَهَدْنَا » . فَقَالَ لِلتَّرْجَمَانِ : « قُلْ لَهُ أَنَا لَا أَعْرِفُ هَؤُلَاءِ ، إِنَّمَا أَعْرِفُكَ أَنْتَ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ عَجْمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ الْأُسْتَاذُ (٤) - أَيْدَهُ اللَّهُ - أَنَّهُمْ يَبْلُغُونَ

(١) النصراني ، وهو الفضل بن موسى ، وقد موّ بنا في الصفحة ٩٩٧ ط ، وهو وكيل ابن الفرات ، كان عليه أن يدفع ما يرتفع من القرية ، ولكنه احتال وسوّف كما رأينا .

(٢) أضفناها إتمام المعنى .

(٣) تحدث ابن حوقل عن الخزر ٣٨٩ / ٢ فقال : « أما الخزر فاسم الاقليم ، وقصته تسمى اثن ... والمثالي يهودي » ، ويقال ان له من الخاشية نحو أربعة آلاف رجل « والمقصود باليهودم الخزر ، كما قلنا - وفي نخبة الدهر للشيخ الربوة ٢٦٣ ، عن الخزر أنهم ملهون ويهود ، وابن الأثير يقول أنهم أسلوا سنة ٣٥٤ ، وذكر - بسبب اسلامهم .

(٤) تسميته بالذخيرة بالأستاذ عجيبة ، وقوله أنهم عجم أعجب ، لأن ابن فضالان نفسه مولد أعجمي ، فيما نقدر .

ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي^(١) وتقرأ كتابي ، وتسمع جوابي ،
ولست أطلب غيرك بدرهم^(٢) فأخرج من المال^(٣) فهو أصلح لك .

فانصرفت من بين يديه مذعوراً مغموماً ، وكان رجلاً^(٤) له منظر
وهيبة^(٥) ، بدين ، عريض كأنما يتكلم من خاية . فخرجت من عنده
وجمت أصحابي | وعرفتهم ما جرى بيني^(٦) وبينه . وقلت لهم : « من
هذا حذرت ! »

* * *

وكان مؤذنه يُدَنِّي الإقامة إذا أذن ، فقلت له : « إن مولاك
أمير المؤمنين يُفرد في داره الإقامة » . فقال للمؤذن : « إقبل ما يقوله لك
ولا تخالفه » .

فأقام المؤذن^(٧) على ذلك أياماً وهو يُسألني عن المال ، ويُناظرني فيه ،

(١) لله يريد : « حتى تحفظ عليّ حقّي » .

(٢) في المخطوطة : « وليس أطلب غيرك درهم » فلملها كما رسمنا .

(٣) أخرج من المال أو أخرج عنه : أعطه ، دوزي ٣٥٨/١ - وخرج الرجل إل فلان من دينه قضاء إياه .

(٤) في المخطوطة : « رجل » وصوابها ما أثبت .

(٥) يتساءل المستشرق الروسي هنا للملها « هيبة » .

(٦) في المخطوطة : « بينه وبينه » والملا كما وضعنا .

(٧) الضير « هو » يعود على الملك طبعاً .

وأنا أؤيسه^(١) منه ، وأحتج فيه . فلما ينس منه تقدّم إلى المؤذن أن يثنى الإقامة ، ففعل . وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي . فلما سمعتُ تنيته للإقامة نهيتُهُ^(٢) وصحّتُ عليه ، فعرف الملكُ ذلك ، فأحضرني وأحضر أصحابي .

فلما اجتمعنا قال للترجمان : « قل له - يعنيني^(٣) - ما يقول في مؤذنين أفرد أحدهما وثنى الآخر ، ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا ؟ » قلتُ : « الصلاة جائزة » . فقال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع ! » قال : « قل له فما يقول في رجل دَفَعَ إلى قوم مالا لأقوام ضعفي^(٤) محاصرين مستعبدين فخانوه ؟ » فقلتُ : « هذا لا يجوز ، وهؤلاء قوم سوء » . قال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلتُ : « باجماع » ، فقال للترجمان : « قل له : تعلم أن الخليفة - أطال الله بقاءه - لو بعثَ

(١) أبسه وآيسه إياساً : جمعه بلفظ ، مثل ينس وأياس .

(٢) ١٠ - في مجمع الزوائد للهيتمي ١ / ٣٣٠ : « وكان بلال يقيم لثني (صلى الله عليه وسلم) بفرد الإقامة » وروى في غير هذا المكان أن الأذان على عهد الرسول كان مثنى مثنى والإقامة فرادى - وقد بحث المستشرقون ذلك في مليقاتهم . والمشرق جوينبول يرى أن الخفية وحدهم كانوا يثنون وأن غيرهم كان يفرد في الإقامة وحدهما ، وقد كتب في دائرة المعارف الإسلامية حول الأذان ١ / ١٣٥ ، وحول الإقامة ٢ - ٤٨٥ .

(٣) في المخطوطة « يعينني » ولا معنى لها ، والله يريد « يعنيني » بمعنى يقصدي .

(٤) الضعف : جمه ضماف وضعفي وضعفة وضعفاء .

إِلَيَّ جَيْشًا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيَّ^(١) ؟ » قُلْتُ : « لا » . قَالَ : « فَأَمِيرُ خُرَاسَانَ ؟ »
 قُلْتُ : « لا » . قَالَ : « أَلَيْسَ لِبَعْدِ الْمَسَافَةِ وَكَثْرَةِ مَنْ يَبْنَتَانِ مِنْ قَبَائِلِ
 الْكُفَّارِ ؟ » قُلْتُ : « بَلَى » ، قَالَ : « قُلْ لَهُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَبِمَكَانِي^(٢) الْبَعِيدِ
 الَّذِي تَرَانِي فِيهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ مِنْ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي أَخَافُ
 أَنْ يَبْلُغَهُ عَنِّي شَيْءٌ يَكْرَهُهُ فَيَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكَ بِمَكَانِي ، وَهُوَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَيَبْنِي
 وَبَيْنَهُ الْبُلْدَانُ الشَّاسِعَةُ . وَأَتَمُّ تَأْكُلُونَ خُبْزَهُ وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَهُ ، وَتَرَوْنَهُ فِي
 كُلِّ وَقْتٍ خُنْتُمُوهُ فِي مِقْدَارِ رِسَالَةٍ بَعَثَكُمْ بِهَا إِلَيَّ ، إِلَى قَوْمٍ ضَعْفَى ، وَخُنْتُمْ
 الْمُسْلِمِينَ ! لَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ أَمْرَ دِينِي حَتَّى يَجِئَنِي^(٣) مَنْ يَنْصَحُ لِي فِيمَا يَقُولُ .
 فَإِذَا جَاءَنِي إِنْسَانٌ بِهَذِهِ الصُّورَةِ قَبِلْتُ مِنْهُ » . فَأَلْجَمْنَا^(٤) وَمَا أَحْرَنَّا جَوَابًا ،
 وَانْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ .

فَال :

فَكَانَ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ يُؤَثِّرُنِي وَيُقَرِّبُنِي ، وَيُبَاعِدُ أَصْحَابِي ، وَيُسَمِّنِي
 « أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقِ^(٥) » .

* * *

- (١) فِي نَجْمَةِ الدَّهْرِ لِشَيْخِ الرِّيْوَةِ ص ٢٦١ : « قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْبَكْرِيُّ : الصَّقَابَةُ قَوْمٌ بَاسٌ شَدِيدٌ ، وَخَدَّةٌ
 وَصُولَةٌ ، وَلَوْلَا اخْتِلَافُهُمْ بِكَثْرَةِ تَفَرُّعِ أَعْرَافِهِمْ وَتَفَرُّقِ أَصْحَابِهِمْ لَمَا قَامَتْ لَهُمْ أَمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ » .
 (٢) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « لِمَكَانِي الْبَعِيدِ الدِّينِ » فَأَصْلَحْنَاهَا كَمَا تَرَى .
 (٣) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « حَقٌّ يَجِئُنِي » وَصَوَّاهَا مَارِئِنَاهُ .
 (٤) أَلْجَمْنَا : أَسْكَنْنَا ، وَالتَّجَمُّعُ عَنِ الْكَلَامِ ، كَأَنَّهُ أَلْجَمَ بِلُجَامٍ ، وَهَلْهُ أَحَارَ الْجَوَابِ لِحَارَةٍ .
 (٥) فِي الْأَصْلِ : « أَبُو بَكْرٍ » وَلِلَّ كُنْيَةِ ابْنِ فَضَالَانَ هِيَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأُضَافَ إِلَيْهِ الصَّدِّيقُ لَصَدَقَهُ .

[ورأيتُ في بلده^(١) من المجائب ما لا أحصيها كثرة .
 من ذلك : أن أول ليلة بتناها في بلده رأيتُ قبل مغيب الشمس ساعةٍ
 قياسية^(٢) أفقَ السماء وقد احمرت احمراراً شديداً وسمعتُ في الجو أصواتاً^(٣)
 شديدة ومهممة عالية ، فرفعتُ رأسي فإذا غيمٌ أحمر مثل النار قريب مني ،
 وإذا تلك المهممة والأصواتُ منه ، وإذا فيه أمثالُ الناس والدواب ، وإذا
 في أيدي^(٤) الأشباح التي فيه ، تشبه الناس^(٥) ، رماح^(٦) وسيوفٌ أتبيّنُها
 وأنخيلُها ، وإذا قطعةٌ أخرى مثلُها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً ،
 فأقبلتُ هذه القطعةُ تحمل^(٧) على هذه كما تحملُ الكتيبةُ على الكتيبة .
 ففرعنا من ذلك وأقبلنا على التضرّع والدعاء ، وهم^(٨) يضحكون مِنّا
 ويتمجّبون من فعلنا .

-
- (١) يعود يافوت إلى نقل كلام ابن فضال وإثباته في مذهب - انظر كانار ص ٩٥ .
 (٢) يحذف يافوت كلمة : « قياسية » - ونقل الساعة القياسية هي الساعة تماماً .
 (٣) في مخطوئتنا : « صوتاً شديدة » وفي يافوت : « أصواتاً عالية ومهممة » فأصلحنا كلمة
 « صوتاً » بجمعها .
 (٤) في مخطوئتنا : « وإذا في الاستباح » وهي مصحفة - وفي يافوت : « وإذا في أيدي الأشباح »
 فأضفناها أيدي عنه وصوبنا .
 (٥) ليس في يافوت : « تشبه الناس » فهي عندنا زائدة .
 (٦) في يافوت : « رمح ورمح وسيوف » .
 (٧) ليس في يافوت : « تحمل » فهي عندنا وحدها .
 (٨) في يافوت : « وأهل البلد يضحكون » .

قال :

وكنّا ننظرُ إلى القطعة تحملُ [على] ^(١) القطعة فتختلطان جميعاً ^(٢) ساعةً ثم تفترقان . فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ^(٣) ثم غابتا . فسألنا الملكَ عن ذلك فزعمَ أنَّ أجداده كانوا يقولون : إنَّ هؤلاء من مؤمني الجنِّ وكفارهم ، وهم ^(٤) يقتلون في كلِّ عشية ، وأنهم ما عدموها هذا مذ كانوا في كلِّ ليلة .

* * *

قال :

ودخلتُ أنا وخياط [كان] للملك ^(٥) من أهل بغداد - قد وقع إلى تلك الناحية ^(٦) - قُبَّتِي ، لتحدّث ، فتحدّثنا بمقدار ما يقرأ ^(٧) إنسانٌ أقلّ من نصفِ سُبُع ، ونحن نتنظرُ أذانَ العتمة ^(٨) ، فإذا بالأذان . فخرجنا من القبة وقد طلَعَ الفجرُ . فقلتُ للمؤذن : « أي شيء أذنتَ » . قال : « أذان

(١) ناصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٢) في مخطوطتنا : « ذلك » ثم طمس بالقلم فحذفناها .

(٣) في ياقوت : « فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل » .

(٤) في مخطوطتنا : « ثم غابيتا » وصوابها ما جاء في ياقوت ، مما أنبتناه .

(٥) في مخطوطتنا : « وخياط الملك » - في ياقوت « وخياط كان الملك » - وهذا دليل آخر على أسبقية

العرب في الحضارة ، وعلى مفارقة قومنا في ارتياد الأقطار سبباً وراء الرزق .

(٦) هذه الجملة بين شرطين لم تقع في ياقوت .

(٧) في ياقوت : « بمقدار ما يقرأ الإنسان نصف ساعة » .

(٨) في ياقوت : « أذان العشاء » .

الفجر » ، قلت : « فالعشاء الآخرة » ^(١) . قال : « نُصليها مع المغرب » ، قلتُ : « فالليل » ، قال : « كما ترى : وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ ^(٢) في الطول » . وذكر أنه منذ شهر ما نام ^(٣) خوفاً أن تفوته صلاة الغداة ^(٤) . وذلك أن الإنسان يجعل القيدَ على النار وقت المغرب ، ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج .

ف قال :

ورأيتُ الشَّهَارَ عندهم طويلاً جداً وإذا أنه يطولُ عندهم مدةً من السَّنة ويقصر الليل ، ثم يطولُ الليلُ ويقصر النهارُ . فلما كانت الليلةُ الثانية جلستُ خارجَ القبة وراقبتُ السماء فلم أرَ | من ^(٥) الكواكب إلا عدداً [٢٠٦ و] يسيراً ظننتُ أنه نحو ^(٦) الخمسة عشر كوكباً | متفرقة . وإذا الشفقُ الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتهً . وإذا الليلُ | ^(٧) قليلُ الظلمة يعرفُ الرجلُ الرجلَ فيه من أكثر من غلوة سهم ^(٨) .

-
- (١) في ياقوت : « فغشاء الآخرة » .
 (٢) في ياقوت : « وقد أخذ الآن في الطول » .
 (٣) في ياقوت : « ما نام الليل » .
 (٤) في ياقوت : « يفوته صلاة الصبح » .
 (٥) يختصر ياقوت في رواية الجمة السابقة : « جلستُ فلم أرَ فيها من الكواكب » .
 (٦) في ياقوت : « فوق الخمسة عشر » .
 (٧) سقط هذا السطر من مخطوطتنا ، فأخذناه من ياقوت ، وبدونه لا يتم البياض ، ويرى الروس ان كلمة قبل المغرب يجب أن تكون بالمغرب .
 (٨) غلوة سهم : الغلوة : النابية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه . ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة ، جمعاً غلوات وغلالة .

قال :

ورأيتُ القمرَ لا يتوسَّطُ السَّماءَ بل يطلُعُ في أرجائها ^(١) ساعةً ثم يطلعُ
الفجرُ فيغيبُ القمرُ . وحدَّثني المَلِكُ أَنَّ وراءَ بلدهِ بمسيرةِ ثلاثةِ أشهرٍ قومٌ
يُقالُ لهم « ويسو » ^(٢) ؛ اللَّيْلُ عندهم أَقْلُ مِنْ ساعةٍ .

قال :

ورأيتُ البلدَ عندَ طلوعِ الشمسِ يحمرُّ ^(٣) كلَّ شيءٍ فيه من الأرضِ
والجبالِ وكلِّ شيءٍ ينظرُ الإنسانُ إليه حينَ ^(٤) تطلعُ الشمسُ كأنَّها غمامةٌ
كُبرى ^(٥) ، فلا تزالُ الحُمْرَةُ كذلكُ حتى تتكبدُ السماءُ . وعرفني أهلُ
البلدِ أَنَّهُ إذا كانَ الشتاءُ عادَ اللَّيْلُ في طُولِ النَّهارِ ، وعادَ النَّهارُ في قصرِ اللَّيْلِ ،
حتى أَنَّ الرَّجُلَ مَنَّا ليُخرجُ إلى موضعٍ ^(٦) يُقالُ له « لِاتِل » — بيننا وبينه

(١) يروي ياقوت هذه الجملة غتمرة .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٤ / ٩٤٤ : « ويسو : بكسر أوله والسين مهلة وواو : بلاد وراء بلنغار
بينها وبين بلنغار ثلاثة أشهر » - والمستشرق لرون يعلق على هذه الكلمة تعليلات طويلة بالصفحة ٢٢٠
ومايلها ، ويرى أن « ويسو Wisu هي « روسيا البيضاء Bielo Russe » ، وأنها قرب موسكو ،
غربي وركل ، ومحصل تعليله أن الكلمة تتركب من لفظتين « أبيض وبحر » أو منطقة بيضاء . ولابد
من الملاحظة بأن النسخ عندنا رسمها « ويسوا » بألف بعد الواو كما يفعل دائماً بعض النسخ
أخلاقاً بواو الجمع ! .

(٣) صوبنا لفظه « تحمر » كما نصوب غالباً من غير أن نشير إلى ذلك .

(٤) في الأصل : « وتطلع » - وفي ياقوت : « حين تطلع » .

(٥) في الأصل : « غمامة كبيرة » وصوابها ما في ياقوت .

(٦) في الأصل عندنا : « موضع يقال له » - وفي ياقوت : « نهر يقال له » وكردنا نصوب نختنا ، ولكن
ياقوت ١ / ١١٢ يقول : « اتل نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلنغار .
وقيل : اتل قصبة بلاد الخزر والنهر مسمى بها » فتركنا الكلمة كما جاءت في نختنا .

أقلُّ من مسيرة^(١) فرسخ - وقتَ طلوع الفجر فلا يبلغه إلى العتمة^(٢) ،
إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء . فما برحنا من البلد
حتى امتدَّ الليلُ وقصر النهار^(٣) .

* * *

١٧

ورأيتُهم يتبركون بمُوء الكلاب جدًّا ، وفرحون به ، ويقولون^(٤) :
سنة خصب وبركة وسلامة .

ورأيتُ الحياتِ عندهم كثيرةً حتى أنَّ^(٥) النصفَ من الشجرة لتلتف
عليه العشرة^(٦) منها والأكثر ، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم . حتى لقد رأيتُ
في بعض المواضع شجرةً طويلةً يكونُ طولها أكثرَ من مائة ذراع ، وقد
سقطتُ وإذا بدنها عظيمٌ جدًّا فوقفتُ أنظرُ إليه إذ تحرك فراعني^(٧) ذلك .
وتأملته فإذا عليه حيةٌ قريبة^(٨) منه في الغلظ والطول . فلما رأيتُني سقطتُ

(١) في ياقوت : « مسافة فرسخ » .

(٢) في نسخة : « إلا وقت العتمة ونظام الكواكب » - وفي ياقوت : « إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب »

(٣) هذه الجملة الأخيرة نافذة في ياقوت - نقل الاصطخري من غير شك عن ابن فضال أمر قصر الليل في الصيف وطوله في الشتاء .

(٤) يختلف ياقوت في رواية هذا الطور ، ويروي : « ويقولون تأق عليهم سنة » .

(٥) في نسخة : « حتى إذا النصف من الشجرة لتلتف » - وفي ياقوت : « حتى أن النصف من الشجر ليانف »

(٦) في ياقوت : « عشرة منها وأكثر » .

(٧) هذا المقطع كله أغفله ياقوت .

(٨) في النسخة : « قريب » .

عنه ، وغابت بين الشجر فجئت فزعا . فحدثتُ المَلِكَ وَمَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ، فلم يكثرثوا لذلك . وقال : « لا تجزع فليس تؤذيك » .

ونزلنا مع الملك منزلاً ، فدخلتُ أنا وأصحابي تَحْكِينَ ، وسوسن ، وبارس ، ومعنا رجل من أصحاب المَلِكِ بين الشجر فرأينا ^(١) عوداً صغيراً أخضر كَرَقَةِ المِغْزَلِ وأطول ، فيه عرق ^(٢) أخضر ، على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض ، مفروشٌ عليها مثلُ النَّابِثِ ^(٣) ، فيها حَبٌّ لَا يَشْكُ مَنْ يَأْكُلُهُ أَنَّهُ || رَمَانٌ أَمْلِسِي ^(٤) ، فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمرٌ عظيمٌ ، فما زلنا نتبعه ونأكله .

[٢٠٦ظ]

* * *

ورأيتُ لهم تَفَاحاً أخضر شديداً الخُضْرَةَ ^(٥) وَأَشَدَّ حُمُوزَةً من خَلِّ الخمر ، تأكله الجَوَارِي فيسمن ^(٦) عليه . ولم أَرِ في بَلَدِهِمْ أَكْثَرَ من شجر البندق ، لقد رأيتُ منه غِيَاضاً تكون الفَيْضَةُ ^(٧) أربعين فرسخاً في مثلها .

(١) في نسختنا : « فإذا لنا » ولا معنى لها ، فاقترح أحد المستشرقين أن تكون : « فإذا أنا بمود » ، واقترح آخر : « فأرانا عودا » ولكننا فضلنا هذه الرواية التي أثبتناها . وكل ذلك في ياقوت .

(٢) في نسختنا : « فيه عرنا » وهو خطأ من النسخ فأصلناه .

(٣) النابت : الطري من كل شيء حين ينبت صغيراً .

(٤) رمان أملس وأملسي : حلو طيب ، لا عجم فيه أي لا نواة له .

(٥) عاد ياقوت إلى الثقل عن ابن فضال ، ولكنه يجوز في العبارة ويتصرها .

(٦) في نسختنا : « ليسى » وصوابها مافي ياقوت ، وقد قلنا إن جلته تختلف عما عندنا فلا حاجة إلى روايتها هنا .

(٧) الفَيْضَةُ : الأجمة ، ويعتجم الشجر في مفيض الماء ، جمه غياض وأغياض وغياضات .

ورأيت لهم شجراً لا أدري ما هو ، مفرط الطول وساقه ^(١) أجرد
من الورق ، ورؤوسه كرؤوس النخل له خوص | دقاق | ^(٢) ، إلا أنه ^(٣)
يجتمع ، يجيئون ^(٤) إلى موضع يعرفونه من ساقه ، فيثقبونه ، ويجعلون
تحتـه إناء فتجري ^(٥) إليه من ذلك الثقب ماء أطيب من العسل ، إن
أكثر الإنسان منه أسكره كما يسكر ^(٦) الخمر .

وأكثر أكلهم الجاورس ^(٧) ولحم الدابة ^(٨) ، على أن الحنطة والشعير
كثير ^(٩) . وكل من زرع شيئاً أخذه لنفسه ؛ ليس للملك فيه حق غير أنهم
يؤذون إليه في كل سنة من كل بيت جلد سمور ^(١٠) . وإذا أمر سرية
بالغارة على بعض البلدان فغنت كان له معهم حصّة . ولا بد لكل من

(١) في نسخة : « وساقه » وهو تصحيف من النامح .

(٢) أضفنا الكلمة من ياقوت - والخوص : ورق النخل مفرداً خوصة .

(٣) قبل هذا في مخطوطتنا : « وقال » ولا شك في أنها زائدة فحذفناها .

(٤) في نسخة : « بموز » وهي غامضة لا نرى شيئاً - وفي ياقوت : « يعمدون إلى موضع من ساق هذه
الشجرة يعرفونه فيثقبونه » ، وقد نمودنا خطة النامح هو كما رسم « بموز » فأصلها : « يجيئون » في
النسخة التي نقل عنها .

(٥) في ياقوت : « يجري » .

(٦) في ياقوت : « تسكر الخمر » . لعله يعني بهذا الشجر نصب السكر .

(٧) شرحنا الكلمة في الصفحات السابقة .

(٨) في ياقوت : « ولحم الحيل » .

(٩) في ياقوت : « كثير في بلادهم » .

(١٠) في ياقوت : « جلد سمور » - والسمور حيوان بري يشبه السمور ، يتخذ من جلده نراء ثينة للبناء
وخفتها وادلائها وحشها ، جمه سامير .

يعتس^(١) أو يدعو دعوةً من زلة^(٢) للملك على قدر الوليمة وساخر^(٣) من نبذ العسل ؛ وحنطة ردية ؛ لأن أرصهم سوداء منتنة .

وليس لهم مواضع يجتمعون فيها طعامهم ، ولكنهم يحفرون في الأرض آباراً ، ويجعلون الطعام فيها ، فليس يَمضي عليه إلا أيام^(٤) بسيرة حتى يتغير ويريح^(٥) فلا ينتفع به .

وليس لهم^(٦) زيت ، ولا شيرج^(٧) ، ولا دهن بته . وإنما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك ، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً . ويعملون من الشعير حساء يُحسونه^(٨) الجواري والغلمان . وربما طبخوا الشعير باللحم ، فأكل الموالى اللحم وأطعموا الجواري الشعير إلا أن يكون رأس تيس^(٩) فيطعم من اللحم .

* * *

- (١) لم نعلم هذه الجملة في ياقوت . ويقترح أحد المشرقين أن تكون « يعترس » بالعين .
- (٢) الزلة : الصنية ، والمرس والوليمة ، وما تحمله من مائدة صديقك أو فريك .
- (٣) في الأصل : « وساخرج » ، اقترح أحد المشرقين أن تكون : « سيخرج » وهي كما يقول ولبيدي وكانار : مقياس السوائل .
- (٤) في نسختنا : « أياماً » وهي خطأ في النحو .
- (٥) في الأصل : « يريح » وهي من الرائحة السيئة الفاسدة هنا ، ولعلها « يزنح » والدهن إذا زنح فسد وتغير ، وما تزال تستعمل في لغة العامة .
- (٦) في ياقوت : « وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فانهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج فهم كانوا لذلك زفرين » وكأله أخذ بالعين فجهل بمباراته .
- (٧) الشيرج : دهن السمك .
- (٨) حساء وأحساء وحاماه تحمية واحساء وعصاة : أشربه إياه .
- (٩) في الأصل : « رأس بفسى » بالفاء ، ويقترح بعض المشرقين أن تكون بالعين ، وآخر يرى أن تكون « تيس » ولكننا لم نجد لها معنى مفهوماً ، وهي ناقصة في ياقوت لأنه حذف الجملة كلها .

وكلّهم يلبسون القلانس^(١) ، فإذا ركب الملكُ ركب وحده بغير غلام ، ولا أحد يكون معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحدٌ إلّا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه | فإذا جاوزهم ردّوا قلانسهم إلى^(٢) رؤوسهم . [٢٠٧ و]
وكذلك كل من يدخل إلى^(٣) الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون^(٤) إليه قد أخذوا قلانسهم فجعلوها تحت آباطهم ، ثم أوموا إليه برؤوسهم ، وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس . وكلّ من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركاً ولا يُخرج قلنسوته ، ولا يُظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك .

وكلهم في قباب ، إلا أن قبة الملك كبيرة جداً ، تسع ألف نفس وأكثر ، مفروشة بالفرش الأرمني^(٥) ، وله في وسطها سرير مغشّى بالديباغ الرومي .
ومن رسومهم أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أخذته جدّه دون أبيه ، وقال : « أنا أحق به من أبيه في حضنه^(٦) حتى يصير رجلاً » . وإذا مات

(١) القلانس : جمع قلنوسة ، وهي لباس الرأس . قيل إن أبا جعفر المنصور أمر بلبس القلانس . وأما اتصال سكان أوربة بالشرقيين أيام الحروب الصليبية نفقوا هذه القلانس الطوال ، وممها الأحمر ، وحملوها لباس النساء ، ولما جاء المستعين سنة ٥٤٨ هـ ، صفر القلانس . انظر الحضارة الإسلامية لقرن ١٨٦/٢ وجمع الملابس لدوزي .

(٢) في ياقوت : « فوق رؤوسهم » .

(٣) في ياقوت : « على الملك » .

(٤) في ياقوت : « يقع نظرم عليه يأخذون قلانسهم فيجعلونها » وكذلك يحمل بقية العبارة بالفتح المضارع .

(٥) الفرش الأرمني مشهور وكذلك البسط الأرمنية ، انظر الحضارة الإسلامية لقرن ٣٠٢ / ٢ .

(٦) يقترح أحد المستشرقين أن تكون الكلمة : « في حضته » ولكنها هنا واضحة مفهومة .

منهم الرجلُ ورثه أخوه دون ولده . فعرفتُ الملكَ أنَّ هذا غير جائز ، وعرفته كيف المواريث ، حتى فهمها .

وما رأيتُ أكثر^(١) من الصَّواعق في بلدكم . وإذا وقعت الصاعقة على بيت^(٢) لم يقربوه ، ويتركونه على حالته وجميع مَنْ فيه من رجلٍ ومالٍ وغير ذلك حتى يتلفه الزمان ، ويقولون : « هذا بيت^(٣) مغضوب عليهم » .

* * *

وإذا قتل الرجلُ منهم الرجلَ عمداً أقادوه^(٤) به ، وإذا قتله خطأ صنعوا له صندوقاً من خشبٍ الخذنك ، وجعلوه في جوفه ، وسمّروه عليه ، وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح^(٥) وعلّقوه بينها ، وقالوا : « نجعله بين السماء والأرض يصيبه المطر والشمس ، لعل الله أن يرحمه » . فلا يزال معلقاً حتى يئليه الزمان وتهبّ به الرياح .

وإذا رأوا إنساناً^(٦) له حركة ومعرفة بالأشياء ، قالوا : « هذا حقه

(١) المقطع السابق ، أغفله ياقوت . وهنا اختصر الجملة .

(٢) في ياقوت : « في دار أحدم » .

(٣) في ياقوت : « هذا موضع مغضوب عليه ، ولعله أصوب .

(٤) أقاده به : أي قتله قوداً ، وانقود : القصاص . وهذا المقطع كله ناهض في ياقوت ، وفي النسخة : « نكلوه »

وهي تصحيف صوبناه .

(٥) في الأصل : « الشبائح » ولعلها مصحفة عن « الشبائح » وهي عيدان مبروزة في القنب

(٦) عاد ياقوت إلى نكل مافي ابن فضال - وفيه : « رأوا رجلاً » .

أن يخدم^(١) ربنا » ، فأخذوه وجعلوا في عنقه حبلاً وعلّقوه في شجرة حتى يتقطع^(٢) .

ولقد حدثني^(٣) ترجانُ الملك أنَّ سندياً سقط إلى ذلك البلد ، فأقام عند الملك برهة من الزّمان يخدمه ، وكان خفيفاً فهِماً . فأراد جماعة منهم الخروج في تجارة^(٤) لهم | فاستأذنَ السّنديُّ الملكَ في الخروج معهم ، فنهاه [٢٠٧ظ] عن ذلك ، وألحَّ عليه حتى أذن له ، فخرجَ معهم في سفينة فأوّه حركاً كَيْساً فتأمروا^(٥) بينهم ، وقالوا : « هذا يصلح لخدمة ربنا ، فتوجّه^(٦) به إليه » ، واجتازوا في طريقهم بفيضة فأخرجوه إليها ، وجعلوا في عنقه حبلاً وشدّوه في رأس شجرة عالية ، وتركوه ومضوا .

* * *

١٨

وإذا كانوا يسيرون^(٧) في طريقٍ فأراد أحدُهم البولَ ، فبال وعليه

(١) في نسخة : « أن يكون يخدم ربنا » - وفي يافوت : « أن يخدم ربنا » فحذفنا « يكون » وبدونها تم الجملة من غير تكلف .

(٢) في نسخة : « ينقطع » - وفي يافوت : « يتقطع » وهي أصوب .

(٣) هذا المقطع ناض كذلك في يافوت .

(٤) في الأصل المجازة وهي الطريق إذا قطع من أحد جانبيه إلى الآخر . وقيل هو الأرض الكثيرة الجوز ، ومجازة النهر : الجسر - ويقترح ريت أن تكون اللفظة هنا « في تجارة » .

(٥) في الأصل : « فتأمرؤا » .

(٦) في الأصل : « فتوجه به » ولعل صوابها : « فتوجه » أو « فتوجه » .

(٧) عاد يافوت إلى تعلل مافي ابن فضال .

سلاحه اتهموه ، وأخذوا [سلاحه] وثيابه ^(١) ، وجميع ما معه ، وهذا رسمٌ لهم . ومن حطَّ عنه سلاحه وجعله ناحيةً وبال لم يعرضوا ^(٢) له .

وينزلُ الرجالُ والنساءُ إلى النهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض ^(٣) ، ولا يزنون بوجه ولا سبب . ومن زنا منهم كائناً من كان ضربوا له أربع سكك ، وشدّوا يديه ورجليه إليها وقطّعوا بالفأس من رقبته إلى فخذه ^(٤) ، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً . ثم يعلق كل قطعة منه ^(٥) ومنها على شجرة .

وما زلت أجهدُ ^(٦) أن يستتر النساء من الرجال [في السباحة] ^(٧) فما استوى لي ذلك . ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني ^(٨) .

وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك . فربما وقع عليهم قوم من أعدائهم فقتلوهم . وفيهم تجار كثير يخرجون

(١) في ياقوت : « وأخذوا سلاحه » ولعلها أصوب فأصفها - وفي وليدي يزيد : « وحلوا ذلك على جله وقلة درايته » .

(٢) في ياقوت : « لم يترضوا له » وفي وليدي : « وبال حلوا ذلك على درايته ومعرفة ولم يترضوا له » .

(٣) في نختنا : « بعضهم بماء » - وفي ياقوت : « بعضهم من بعض » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « إل نخذه » .

(٥) في نختنا : « منهم ومنها » : وفي ياقوت : « منه ومنها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٦) في ياقوت : « قال : ولاد اجتهدت أن تستتر النساء » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٨) هنا يلف ياقوت عن النقل ويقول : « ولهم أخبار اقترنا على هذا » .

إلى أرض الترك فيجلبون الغنم ، وإلى بلد يقال له « ويسو » ^(١) فيجلبون السمور والشلب الأسود .

ورأينا فيهم أهل يات ^(٢) يكونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم ، يعرفون بالبرنجار ^(٣) ، وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ، ولا يعرفون القراءة ، فعلمت جماعة ما يصلون به . ولقد أسلم على يدي رجل يُقال له « طالموت » فأسميته « عبد الله » فقال : « أريد أن تسميني باسمك محمداً » ^(٤) ، ففعلت . وأسلمت امرأته وأمه وأولاده ، فسَمُوا كلهم « محمداً » . وعلمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ^(٥) و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٦) فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن ^(٧) صار ملك الصقالبة .

وكنّا لما وافينا || الملك وجدناه نازلاً على ماء يُقال له « خلجة » ^(٨) [٢٠٨و]

(١) علقنا على هذه الكلمة بما فيه الكفاية في حاشية الورقة ٢٠٦ و .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله يريد أهل عشيرة أو قبيلة .

(٣) كذا في الأصل ، ولعله يقصد « المونول » .

(٤) نخدثنا في المقدمة عن هذه الكلمة ، فالمؤلف اسمه أحمد بن فضال لا « محمد بن فضال » . وقلنا ما فيه الكفاية هناك .

(٥) سورة الفاتحة .

(٦) سورة الاخلاص .

(٧) في الأصل : « إلى صار » وهو تصحيف ، ولعله : « إن صار » أو « إذا صار له ملك الصقالبة » .

(٨) في الأصل : « على ما يقال له خلجة » ولعلها ماء كما يأتي بعد ولم نستطيع أن نجد الموضع في مداجم البلدان ، فلهذا مصحفة عن « خلجة » كما ذكرها ابن الوردي في خريدة المجانب ٨٩ (طبعة مصر ١٩٣٩) - أو هي خليج من مدن الخزر كما في نخبه الدهر ٢٦٣ .

وهي ثلاث^(١) بحيرات ، منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، إلا أنه^(٢) ليس في جميعها شيء يُلحَقُ غَوْرُهُ . وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصبُّ إلى بلاد الخزر يقال له « نهر إتل » نحو الفرسخ^(٣) . وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كلَّ مديدة ، ويباع فيها المتاع الكثير النفيس .

* * *

١٩

وكان « تكين » حدَّثني أَنَّ في بلد الملك رجلاً^(٤) عظيم الخلق جدّاً . فلما صرْتُ^(٥) إلى البلد سألتُ الملكُ عنه ، فقال : نعم ، قد كان في بلدنا ومات ، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً . وكان من خبره أَن قوماً من التجار خرجوا إلى « نهر إتل » [وهو نهر بيننا وبينه يوم واحد]^(٦) كما يخرجون . وهذا النهرُ قد مدَّ وطني^(٧) ماؤه فلم أشعر

(١) في نسختنا : « ثلاثة بحيرات منها اثنتان كبار » فصولها .

(٢) في نسختنا : « إلا ان ليس » فاضنا الماه إل « أن » .

(٣) تكلمنا عن نهر اتل في تعليقاتنا السابقة - وفي الأصل هنا : « نحو الفرس » وهي سهو من الناسخ أصلاً : « نحو الفرسخ » كما أن الناسخ يخطئ دائماً في رسم اتل فيجعلها (اتل) .

(٤) هنا يرجع ياقوت إل النقل عن ابن فضلان في صدد تعريفه لنهر اتل ، فيقول : ١ / ١٢٢ : « بانني أن فيها رجلاً عظيماً » .

(٥) في ياقوت : « فلما صرْتُ إل الملك سألتُه عنه » .

(٦) أضفناها من ياقوت .

(٧) في نسختنا : « وطعنا ماؤه » وفي ياقوت : « وطني ماؤه » وهي أصوب فأخذنا بها .

يوماً^(١) إلّا وقد وافاني جماعة من التجار^(٢) ، فقالوا : أيها الملك ، قد قفا على [الماء]^(٣) رجل إن كان من أمة تقرب^(٤) منا ، فلا مقام لنا في هذه الديار ، وليس [لنا]^(٥) غير التحويل .

فركبت معهم حتى صرت^(٦) إلى النهر فإذا أنا بالرجل ، وإذا هو بذراعي^(٧) اثنا عشر ذراعاً ، وإذا له رأس كأ كبير^(٨) ما يكون من القدور ، وأنف أكثر^(٩) من شبر ، وعينان^(١٠) عظيمتان ، وأصابع^(١١) تكون أكثر من شبر. شبر ، فراعني أمره ، وداخلني ما داخل القوم من الفزع ، وأقبلنا نكلمه ولا يكلمنا^(١٢) ، بل ينظر^(١٣) إلينا .

فحملته إلى مكاني ، وكتبته إلى أهل « ويسو » وهم منا على ثلاثة

(١) كلمة « يوماً » لا توجد في ياقوت .

(٢) كلمة « من التجار » لا توجد كذلك في ياقوت .

(٣) مبنوثة في نسختنا أخذناها عن ياقوت -- ولعل « قفا » مصحفة عن « طفا » .

(٤) في نسختنا : « يقرب منا » - وفي ياقوت : « تقرب »

(٥) ناقصة في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٦) في ياقوت : « حتى صرت إلى النهر ووقفت عليه » .

(٧) في ياقوت : « وإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً » .

(٨) في نسختنا : « رأس أكبر من القدور » - وفي ياقوت : « وإذا رأسه كأ كبير ما يكون » .

(٩) في ياقوت : « وأنفه أكبر من شبر » .

(١٠) في ياقوت : « وعيناه » .

(١١) في ياقوت : « وأصابعه كل واحدة شبر » .

(١٢) في ياقوت : « وهو لا يكلم » .

(١٣) في الأصل بنسختنا : « لا ينظر » - وفي ياقوت : « ولا يزيد على النظر البتة » ، فجعلنا بدلاً من

« لا » حرف « بل » .

أشهر أسألهم عنه ، فكتبوا ^(١) إليّ يعرفونني أَنَّ هذا الرجل من « يأجوج ومأجوج » ^(٢) . وهم منّا على ثلاثة أشهر عراة يحول بيننا وبينهم البحر ، لأنهم على شطّه ، وهم مثل البهائم ^(٣) ينكح بعضهم بعضاً ، يُخْرِجُ اللَّهُ — عز وجل — لهم كل يوم سمكة من البحر ، فيجزي الواحد منهم ومعه ^(٤) المِديّة فيجزّ منها قدر ما يكفيه ويكفي عياله ، فَإِنْ أَخَذَ فوق ما يقنعه ^(٥) اشتكى بطنه ، وكذلك عياله يشتكون بطونهم . وربما مات وماتوا بأسرهم . فإذا أخذوا منها [حاجتهم] ^(٦) انقلبت ووقعت ^(٧) في البحر . فهم في كلّ يوم على ذلك .

ويتنا وبينهم البحر من جانب || والجبال محيطة ^(٨) بهم من جوانب [٢٠٨ ط]

- (١) في ياقوت : « أسألهم يعرفونني أَنَّ هذا رجل من » ولعل الأنضل أن تكون هنا « يعرفونني » .
 (٢) أُرسل الخليفة الواثق بالله بنته برية إلى مد يأجوج ومأجوج ، وتحدث عنها سلام الترجان بأسلوب متنع - انظر ياقوت ٥٣/٣ ، وارجع إلى تاريخ ابن عساكر ، بالجزء الأول ففيه حديث مطول عنه وعن القوم .
 (٣) في ياقوت : « واسم قوم كاليائم الهائلة عراة حفاة ينكح » .
 (٤) في نسختنا : « ومما المديّة » وصوابها مارستنا - وفي ياقوت : « فيجزي الواحد مديّة ليجزّ منها بقدر كفايته وكفاية عياله » .
 (٥) في نسختنا : « فوق ما يقنعه » وصوابها ما وضنا - وفي ياقوت : « فان أخذ فوق ذلك اشتكى بطنه هو وعياله » .
 (٦) رأينا أضافتها عن ياقوت للسياق .
 (٧) في نسختنا : « ووقعت في البحر » ولعلها مصحفة : « ووقعت في البحر » مصوبناها - وفي ياقوت : « وعادت إلى البحر ومعها على ذلك » - وحكاية الكلام المذكور جاءت في ياقوت عن اللؤلؤ ٥٣/٣ : « قالوا : يذهب البحر إليهم في كل سنة سمكتين يكون بين رأس كل سمكة وذنبها مسيرة عشرة أيام أو أكثر » . وكأها خرافات تنافلها الكتب .
 (٨) يختمر ياقوت هنا : « ويتنا وبينهم البحر وجبال محيطة » ثم يهمل بعد ذلك - طاراً وبضبط -

أَخْرَجَهُ . وَالسُّدُّ^(١) أَيْضاً قَدْ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَابِ الَّذِي كَانُوا يُخْرَجُونَ مِنْهُ ،
فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يُخْرِجَهُمْ^(٢) إِلَى الْعِمَارَاتِ سَبَّبَ لَهُمْ فَتَحَ
السُّدَّ وَنَضَبَ الْبَحْرُ وَانْقَطَعَ عَنْهُمْ السَّمَكُ .

قَالَ :

فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ^(٣) ، فَقَالَ : أَقَامَ عِنْدِي مَدَّةً فَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ
صَبِي إِلَّا مَاتَ ، وَلَا حَامِلٌ إِلَّا طَرَحَتْ حَمْلَهَا . وَكَانَ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْسَانٍ
عَصَرَهُ بِيَدَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلَّقْتُهُ فِي شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ حَتَّى مَاتَ .
إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى عِظَامِهِ وَرَأْسِهِ مُضَيَّتُ مَعَكَ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَيْهَا .
فَقُلْتُ : « أَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّ ذَاكَ فَرَكِبْتُ مَعِيَ إِلَى غِيضَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا شَجَرٌ عِظَامُ
فَتَقَدَّمَنِي^(٤) إِلَى شَجَرَةٍ^(٥)] سَقَطَتْ عِظَامُهُ [وَرَأْسُهُ تَحْتَهَا ، فَرَأَيْتُ رَأْسَهُ مِثْلَ

(١) انظر خبر السد في ياقوت ٣ / ٥٣ .

(٢) في ياقوت : « فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ اخْرَاجَهُمْ انْقَطَعَ السَّمَكُ عَنْهُمْ وَنَضَبَ الْبَحْرُ وَانْفَتَحَ السُّدُّ » .

(٣) هنا نختار رواية ياقوت ، لأنه شاء أن يوجز في الحكاية فقال : « ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ وَأَقَامَ الرَّجُلُ عِنْدِي مَدَّةً ثُمَّ عَلِمْتُ بِهِ عِلَّةً فِي نَحْرِهِ فَاتَّيْتُهَا » وهو بذلك يناقض رواية ابن فضال في موته . فيجمل وفاته بالملحة ، ولا يقص علينا ما في الرسالة من أخباره في الهول والفرع ، كأنه لا يصدقها . وسبب ذلك ما وقع من تصحيف في النسخة التي نقل عنها ياقوت ، فيما نظن ، فإن كلمة : « شَجَرَةٌ عَالِيَةٌ » قد غُيِّرَتْ إِلَى « نَحْرُهُ عِلَّةٌ » وقد وقع في بعض مخطوطات معجم البلدان لياقوت : « عِلَّةٌ فِي مَنْحَرِهِ » وكلها تصحيف ، وأصلها ما جاء في نسختنا .

(٤) في نسختنا : « فَقَدَّمَنِي » وأصلها « فَقَدَّمَنِي » أو « تَقَدَّمَنِي » .

(٥) وقع هنا ياء ، فرأيت بعضهم أن يكون « جِثَّتُهُ فَوْقَهَا » - وفي طبعة ولدي قال أنه رأى ورقة مطبوعة الحروف ماصقة بالأصل نقلها وهي : « شَجَرَةٌ سَقَطَتْ عِظَامُهُ وَرَأْسُهُ » .

القفير^(١) الكبير ، وإذا أَصْلَعُهُ أَكْبَرُ [من] عراجين^(٢) النَّخْل ، وكذلك عظامُ ساقيه وذراعيه ، فتمعجبت^(٣) منه ، وانصرفتُ .

* * *

٢٠

فأل :

وارتحل الملك من الماء الذي يسمى « خلجه »^(٤) ، إلى نهر يقال له « جاوشيز » ، فأقام به شهرين ، ثم أراد الرَّحِيل فبعث إلى قوم يقال لهم « سواز »^(٥) يأمرهم بِالرَّحِيل معه ، فأبوا عليه ، واقتروا فرقتين ، فرقة مع ختته^(٦) ، وكانت قد تملك عليهم ، واسمها « ويرغ »^(٧) . فبعث إليهم الملك ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - قد منَّ عليَّ بالإسلام^(٨) وبدولة

(١) القفير : خلية الذئب .

(٢) عراجين : جمع عرجون ، وهو أصل الذق الذي يموج ولقطع منه الشارينخ فيبلى على النخل يابساً .

(٣) اختصر ياقوت في وصف مارأي ابن فضال من عظام الرجل ، فروى : « وخرجت فرأيت عظامه فكانت هائلة جداً » وذلك لأنه لا يصدق مثل هذا ، وقد صرح قائلاً بعد الرواية : « قال المؤلف : هذا وأمثاله هو الذي قدمت البراءة منه ولم أضمن صحتة » .

(٤) مرت بنا هذه الكلمة ، وحررنا في تمليقنا عليها فلم نلتقط معرفة المكان ، ومثلها « نهر جاوشيز » وهو نهر وصفه ابن فضال في الصفحة التالية ولعله فرع من نهر الكاماكما في كاتار ص ١١٠ .

(٥) في الأصل « سوان » ويرى بعض المستشرقين أن تكون « سوار » .

(٦) هذه الدبارة غامضة ، ورأى بعض المستشرقين أن تكون : « مع خة » وفي وليدي : « مع ختته » فأخذنا بروايته .

(٧) الاسم غامض لم نتهدد إليه في المصادر .

(٨) حام المستشرقون حول اسلام ملك الصقالبة وزمانه . والمسيودي ١٦ / ٢ يروي أن ابن ملك البشار الصقالبة حج قبل عام ٣٢٠ ، ومرت بغداد ، واكرمه القوم فيها . فهل كان هذا بتأثير ابن فضال ؟

أمير المؤمنين ، فأنا عبده ، وهذه الأ [مة] ^(١) قد قلّدتني [فسن] ^(٢) خالفني لقيته بالسيف . وكانت الفرقة الأخرى مع ملك من قبيلة يُعرف بملك ^(٣) اسكل ، وكان في طاعته ، إلا أنه لم يكن داخلاً ^(٤) في الإسلام .

فلما وجّه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته ، فرحلوا بأجمعهم معه إلى « نهر جاوشيز » وهو نهر قليل العرض ، يكون عرضه خمسة أذرع ، وماؤه إلى الشرة ، وفيه مواضع إلى الترقوة ^(٥) ، وأكثره قامة . وحوله شجر ^(٦) كثير من الشجر الخدنك وغيره .

وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أن بها حيواناً دون الجمل في الكبر ، وفوق الثور ، رأسه رأس جمل ، وذنبه ذنب ثور || وبدنه بدن [٢٠٩و] بقل ، وحوافره مثل أظلاف الثور ، له في وسط رأسه قرن واحد غليظ مستدير ، كلما ارتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح ، فنه ما يكون طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل ، يرتمي ورق الشجر ،

(١) ضاع أكثر الكلمة فاسمها كما تراهي لنا ، وهي نافصة في باقوت ، وفي طبعة وليدي : « قد قلّدتني » فأخذنا بها وفي كانار ص ١١١ : « وهذا الأمر قد قلّدتني »

(٢) بياض ملاذه لسياق .

(٣) طمس أكثر الكلمة ولكن من السهل ردها - وجاء ثانية في الورقة ٢٠٩ ظ ، و ل ابن فضال إن هذا الملك تحت يد منك الصقالبة . وكانت الكلمة : « تعرف » فجعلناها « يعرف » .

(٤) في الأصل : « لم يكن داخل » وهو خطأ نحوي من أخطاء الناسخ .

(٥) الترقوة : العظم الذي بين نفرة النحر والماق ؛ جمها التراقي والترايق .

(٦) هنا طمس في المخطوطة ، رسمه وليدي بقوله : « ينبت كثير » - ولكننا تركناه فاستفادت الجملة بدوله .

جيد الخصرة^(١) . إذا رأى الفارس قصده ، فإن كان تحته جواد آمن^(٢) منه بجهد ، وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ، ثم زجّ به في الهواء ، واستقبله بقرنه^(٣) ، فلا يزال كذلك حتى يقتله . ولا يعرض للدابة بوجه ولا سبب ، وهم يطلبونه في الصحراء والغياض حتى يقتلوه^(٤) . وذلك أنهم^(٥) يصعدون الشجر العالية التي يكون بينها^(٦) ، ويجمع لذلك عدة من الرماة بالسهم المسمومة فإذا توسطهم رموه حتى يشنّوه ويقتلوه^(٧) .

ولقد رأيتُ عند الملك ثلاث^(٨) طيفوريات كبار تُشبه الجزع^(٩) الياباني عرفني أنها معمولة من أصل قرن هذا الحيوان . وذكر بعض أهل البلد أنه الكر كدّن .

* * *

-
- (١) في الأصل : « جيد الخفر » .
 (٢) في الأصل : « أمنت » والمقصود هو الرجل فيما يرى .
 (٣) هذا هو الحيوان المعروف بوحيد القرن وهو الكر كدّن اشتهر وجوده في الهند له جثة الفيل وخلفة الثور ذو حافر على رأسه قرن واحد : كما يقول بد قليل .
 (٤) في النسخة : « حتى يقتلونه » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .
 (٥) في الأصل : « أنه » ولعل صوابها كما رجحنا .
 (٦) في الأصل : « الشجر العالية التي يكون بينها » - وفي وليدي : « تكون بيته » .
 (٧) في النسخة : « حتى يشنّونه ويقتلونه » وهو كذلك خطأ من الناسخ في النحر صوبناه .
 (٨) في الأصل : « ثلاثة طيفوريات » فأصلها المدد - والطيفورية : صحن أو طبق عميق ، كما في تكملة معاجم العرب لدوزي ٢ / ٤٨ ، وفي ابن بطوطة ٢ / ٣٩١ : « وبين أيديهم طيافير الذهب » .
 (٩) في الأصل « الجزع » ويرى بعض المستشرقين أن تكون : الحرز الياباني .

قال :

وما رأيتُ منهم إنساناً يحمرّ ، بل^(١) أكثرهم معلولٌ . وربما يموت أكثرهم بالقولنج^(٢) ، حتى أنّه ليكون بالطفل الرضيع منهم . وإذا مات المسلم عندهم أو زوجُ المرأة^(٣) الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلةٍ تجره ، وبين يديه مطرد^(٤) حتى يصيروا^(٥) به إلى المكان الذي يدفنونه فيه . فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة^(٦) وجعلوه على الأرض ، ثمّ خطّوا حوله خطأً ، ونحوه ، ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره ، وجعلوا له حُداً ، ودفنوه . وكذلك يفعلون بموتاهم .

ولا تبكي النساء على الميت ، بل^(٧) الرجال منهم يبكون عليه ، يحيئون^(٨)

(١) في النسخة : « بلى » ولعلها : « بل » .

(٢) القولنج : بغم الغاف أو فتحها ، مرض مشهور معوي منسوب إلى المني ، مؤلم جداً ، يمرر معه خروج الثفل والريح .

(٣) في النسخة : « وإذا امرأة الخوارزمية وغسلوه » فجعلنا المباركة كما ترى ، وأضفنا كلمة زوج ، وحذفت الواو قبل غسلوه .

(٤) في النسخة : « وبين بين يحطرد » بغير نقط وهي غامضة ، فلملها « بين اثنين » وقد اخترنا أن تكون يديه بدلاً من بين . وقد شرحنا المطرد قبل هذا ، ولم ننتد إلى معنى المباركة مع ذلك .

(٥) في الأصل : « حتى يصيرون » فحذفنا النون .

(٦) في النسخة : « عن النخلة » وهي تصفيف من الناسخ ، فقد ورد ذكر العجلة التي حمل عليها قبل قليل .

(٧) في النسخة : « بلى » وهي « بل » أخطأ فيها كما أخطأ في السطور السابقة .

(٨) في النسخة : « بحوز » وهي لاشك مصحفة ولعلها : « يحيئون » .

في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجّون بأقبح بكاء يكون وأوحشه .

هؤلاء للأحرار^(١) فإذا انقضى بكاؤهم وافي العبيد ومعهم جلود مضمفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم^(٢) وما ظهر من أبدانهم بتلك الشيور^(٣) ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السوط ، ولا بدّ من أن ينصبوا^(٤) || بياب^(٥) قبته مطرداً ، ويحضروا سلاحه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين . [٢٠٩ظ]

فإذا انقضت السنتان^(٦) حطّوا المطرد ، وأخذوا^(٧) من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يُعرف بها خروجهم من الحزن ، وإن كانت له زوجة تزوجت . هذا إذا كان من الرؤساء . فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم .

(١) في النسخة : « هؤلاء للأحرار » ولعل صوابها « هؤلاء الأحرار » أو « هؤلاء الأحرار » أو « هذا للأحرار » .

(٢) الجنوب : جمع جنب وهو شق الانسان .

(٣) في النسخة : « تلك السمور » وقد رأى المشترون أن تكون : « بتلك السمور » وهي معرفة في نظرم عن السامير . ولكننا نرى أنها مصحّفة عن « الشيور » والبير قدّة من الجلد مستطبة . جمعها سيور وقد يجمع على أسيار ، وما تزان في لغة العامة إل اليوم ، فهي أصوب وأصح للسياق .

(٤) في النسخة : « أن ينصبون » وهي برهان من ألف برهان على أخطاء الناسخ في النحر وضعفه فيه .

(٥) في النسخة : « باب قبته » فأضفنا به الجير - والمطرد : العلم كما شرحنا .

(٦) في النسخة : « السنتين » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٧) أخذوا من شعورهم : أي قصوها ، يقال أخذ من شاربته ومن شعره إذا قصه . وإطالة الشعر للحزن عندم على عكس العرب ، فهم إذا أطالوا الشعر فافرح - وأبو فراس الحمداني في ديوانه ، كما طبعناه بتعليقنا حين يرثي أمه ينكر إطالة الشعر بعد موتها - انظر الديوان ٢ / ٢١٧ .

وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤدّيها إلى ملك الخزر من كل بنت في مملكته جلد سمور^(١) .

وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها ، وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك^(٢) أن يختار من كل عشرة أرؤس رأساً .

وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر . وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة^(٣) ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها ، فاحتج عليه ، وردّه ، فبعث وأخذها غصباً ، وهو يهودي ، وهي مسلمة ، فأتت عنده ، فوجه يطلب بنتاً^(٤) له أخرى . فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك « اسكل » ، وهو من تحت يده خيفة^(٥) أن يفتصبه إياها كما فعل بأختها . وإنما^(٦) دعا ملك الصقالبة أن يكتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر .

* * *

-
- (١) شرحنا في الصفحات السابقة هذه الكلمة .
 (٢) في النسخة : « فالملك » وصوابها ما رسمنا لسياق .
 (٣) في النسخة : « عن ابنته ملك » وهي خطأ من الناسخ صوابه .
 (٤) هنا يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سالة أخرى » ولا نرى وجهاً لتبديل الكلمة فهي صحيحة في النسخة والسياق يفسرها ، فقد ماتت البنت الأولى فطلب الأخرى ، ولكنه بادر فزوجها .
 (٥) في النسخة : « وخيفة » فحذفنا الواو ؛ لأنه بدونها يحسن السياق .
 (٦) لأنها : « وهذا ما دعا » - وسنرى في الكلام على الخزر أن ملكهم يأخذ من بنات الملوك الذين يجاذونه ما يشتهي طوعاً أو كرهاً ، وعنده خمس وعشرون امرأة ؛ فهي عادته مع كل جيرانه لأمع الصقالبة وحدهم .

قال :

وسألتُه يوماً فقلتُ له : « مملكتك واسعة ، وأموالك جمة وخراجك كثير ، فلم سألتَ السلطان أن يبني حصناً ببالٍ من عنده لا مقدار له » ؟ فقال : « رأيتُ دولةَ الإسلام ^(١) مقبلةً ، وأموالهم يؤخذ من حلّها ^(٢) ، فالتمستُ ذلك لهذه العلة ، ولو أنني أردتُ أن أبني حصناً من أموالٍ من فضةٍ أو ذهبٍ لما تمذّر ذلك عليّ . وإنما تبرّكتُ ببال أمير المؤمنين ، فسألتُه ذلك » .

(١) في الأصل طمس بقى منه « الاسلام » فرأينا أن تكون « الاسلام » - وفي وليدي : « الأمراء »
(٢) في الأصل : « من حلّها » فرأى أحد المشرقيين أن تكون من كلمة « حلّ وربط » وهي من باب الأموال العامة - ولكننا نرى أن تكون بمعنى حلال ضد الحرام ، والباقي بعد ذلك يدل على المعنى .

[الروسية]

٢١

قال :

ورأيتُ الروسية^(١) وقد وافوا في تجاراتهم ، ونزلوا على « نهر إاتل »^(٢) فلم أر أتمَّ أبداناً منهم كأنهم النخل^(٣) ، شقر حمر^(٤) لا يلبسون القراطق ولا الخفّاتين [ولكن يلبس]^(٥) الرجل منهم كساءً يشتمل به على أحد شقيّه ، ويخرج إحدى يديه منه . ومع كل واحد منهم فأس وسيف وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا .

وسيوفهم صفائح مُشَطَّبة^(٦) أفرنجية . ومن [حدّ]^(٧) ظُفَرِ الواحد

- (١) هنا يبدأ ياقوت من جديد في النقل عن ابن فضلان ، مادة « روس » بمجمعه ٢ / ٨٣٤ ، وقد أورد أنوال المقدسي ، وغيره ، ثم اتبعه بما عندنا في النسخة . وقد نشر هذا القم كقلنا المستشرق فرون سنة ١٨٢٣ وسنعيد من تعليقاته المطولة بالألمانية . ويقول ياقوت انهم مئة ألف انسان عن المقدسي .
- (٢) يقول الادريسي إنه المدروف بنهر الرس ، وقد علقنا في الحواشي عن موقعه وقابلنا ماجاء عنه في معجم البلدان لياقوت .
- (٣) وفي أمثال الميداني عن الاجسام : « ترى الفتيان كالنخل » .
- (٤) ينقل فرون عن أخبار الدول لأبي الناس الدمشقي ، مخطوطة في وصف الروس : « ومبيض شقر » ويقول العرب غالباً عن البيض انهم شقر ، وفي نخبه الدهر : « وفي هذا الاقليم الترك والخزر والفرايج والأرمينية وباشغرد ومن سامتهم ، وهؤلاء يسمون الشقر » .
- (٥) بيأس في الأصل أخذناه عن ياقوت ، والقراطق والخفّاتين مرّ شرحها بالورقة ١٩٩ و
- (٦) الشطبة : طريقة السيف ، أي الواحدة من الخطوط التي في فصله جميعاً شطب .
- (٧) الكلمة مطبوسة أخذناها عن ياقوت - وقد علق فرون على هذه الجملة مطولاً (س ٧٦) فنقل إلينا ترجمة المستشرق ده ساسي ، بما خلاصته أن الواحد منهم من ظفر رجله إلى رقبته صور مثل الأشجار والاشكال ، أي أن أجسامهم طبعت عليها الصور من أخمص القدم إلى الرأس مثل الموجه كما يقول القدماء - وفي قصة ألف ليلة وليلة قريب من هذا المعنى هذه عبارته : « ثم أعرتة ، وركبت الدش على يديه من ظفروه إلى كفته ، ومن مشط رجليه إلى فخذه ، وكتب سائر جسده ، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر » - انظر الطبعة الروسية في الصفحة ١٣٢ ، وفيها يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « عفر شجر » .

منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور ، وغير ذلك .

وكل امرأة منهم فعلى ثديها حُمَّة^(١) مشدودة إما من حديد وإما من فضة ، وإما نحاس ، وإما ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره . وفي كل حُمَّة حلقة فيها سكتين مشدودة على الثدي أيضاً . وفي أعناقهن^(٢) أطواق من ذهب وفضة ؛ لأن الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقاً ، وإن ملك عشرين ألفاً صاغ لها طوقين ، وكذلك كل^(٣) عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقاً لامرأته . فربما^(٤) كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة .

وأجل الحليّ عندهم الخرز^(٥) الأخضر من الخزف الذي يكون على السفن

(١) في نسختنا : « حلقة » - وفي ياقوت : « حقة » . والحقة (بالقم) وعاء من الخشب ، وقد تسوى من الخارج ، وقد ذكرها عمرو بن كثر في معقته فقال : « وثدياً مثل حق الحاج رخصاً » . وابن فضلان يكرر الكلمة ثانية صحيحة فيقول « حقة » لذلك صوبناها .

(٢) في نسختنا « وفي أعناقهم » وصوابها ما في ياقوت : « وفي أعناقهن » - ونحدث المستشرق فراه من ٧٨ عن الذهب والفضة ووصولها إلى روسية وضرب العملة ، وكلامه هام يجدر الرجوع إليه لمعرفة تبادل الدراهم والعملة أيام الباسين لذلك الزمان ، وما وجد منها في المتاحف .

(٣) الجملة في ياقوت : « وكلما زاد عشرة آلاف درهم يريد لها طوقاً آخر » .

(٤) غامضة في نسختنا أخذناها من ياقوت .

(٥) الخرز ما ينظم في السلك من الجذع والودع ، أو من فصوص الحجارة الكريمة ، والخرزات جواهر التاج ، وفي القاموس : « خرزات الملك جواهر تاجه » ، كان الملك إذا ملك عاملاً زيدت في تاجه خرزة ليعلم سني ملكه - انظر تعليقات فراه من ٨٦ - ٩١ عن الكتب في الخرز ومواقع وجوده وقد شرح الخرز بأنه كل ما عمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً ، ثم أورد ترجمة المستشرقين لهذه الجملة بما يخص السفن ، وأحال إلى كتب الرحلة عن الفرس وأرمينية ، ورأى أن تكون الخزف مصحفة عن « الخرز » .

يبالغون^(١) فيه ، ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظمونه^(٢) عقوداً لنسائهم .
 وهم أقدر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ،
 ولا يغسلون أيديهم من الطعام ، بل هم كالحمير الضالة ، يحيثون^(٣) من بldم
 فيرسون سفنهم بإتال ، وهو [نهر]^(٤) كبير ، ويبنون على شطّه^(٥) بيوتاً
 كباراً من الخشب .

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر . ولكل
 واحد سرير^(٦) يجلس عليه ، ومهم الجواري^(٧) الزوقة للتجار ، فينكح
 الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر إليه . وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه
 الحال بعضهم بمحذاء بعض . [وربما]^(٨) يدخل التاجر [عليهم]^(٩) ليشتري
 من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى^(١٠) يقضي أربه .

(١) في نسختنا : « يايون فيه » وفي ياقوت : « يبالغون فيه » وهي أصوب ، وإمل الذي ساق النسخ
 إل هذا هو وجود كلمة الشراء بعدها .

(٢) في نسختنا : « وينظمون » ، وفي ياقوت : « وينظمونه عقوداً لنسائهم » - وفي طبعة فرهن عن
 المخطوطات : « وينظمون عقد النسائهم » وهو تصحيف .

(٣) في نسختنا « يمحوز » وهي « يحيثون » كما في ياقوت ، والناسخ يصحها دائماً على هذا الشكل .

(٤) بياض أكلناه من ياقوت .

(٥) في ياقوت : « شاططة » .

(٦) السرير : القمد ، أو الديوان ، أو الصفة - انظر فرهن ٩٣ .

(٧) في نسختنا : « الجوار روقة » - وفي ياقوت : « ومهم جواريه الروقة » فهو بناها - والجواري
 الروقة : هنّ الجواري الجميلات يرقن للناس .

(٨) نافذة أخذناها عن ياقوت وحذفنا الواو قبل « يدخل » .

(٩) أخذناها من ياقوت للسياق .

(١٠) في نسختنا : « أو يبيض أربه » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « حتى يقضي أربه »

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون^(١) وأطفسه . وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالعداة ، ومعهما قصعة^(٢) كبيرة فيها ماء ، فتدفعها إلى مولاهما فيغسل^(٣) فيها يديه ووجهه ، [وشعر رأسه فيغسله]^(٤) ويسرّحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويصق فيها ، ولا [يدع شيئاً من القذر إلا فعله]^(٥) || في ذلك الماء . فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي^(٦) إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ، ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وكل واحد منهم يمتخط ويصق [فيها]^(٧) ويغسل وجهه وشعره فيها .

* * *

وساعة توافي^(٨) سفينهم إلى هذا المرسى يخرج^(٩) كل واحد منهم

-
- (١) في نسختنا : « بأقذر ما يكون » - ولعلها : « بأقذر ماء يكون » وليت في ياقوت لأنه اختصر الجملة وأوجز فيها ونحن نرى في هذا التعبير صورة لتأبيره المعروفة فهو يقول : « كأعظم رجل يكون » ، و « بأقبح بكاء يكون وأوحشه » وأما النصف فهو القذر النجس .
- (٢) في نسختنا : « ومعهما غصمة » وهي مصفحة وصحيفها يأتي بمد قليل وفي ياقوت .
- (٣) في نسختنا : « فيغسل منها » - وفي ياقوت : « يغسل فيها وجهه ويديه » .
- (٤) بياض في نسختنا ملأناه من ياقوت .
- (٥) بياض في النسخة ملأناه عن ياقوت .
- (٦) في ياقوت : « إل الذي يليه فيغسل » .
- (٧) أضفناها من ياقوت لذياق .
- (٨) في نسختنا « وساعة توافي سقيم » - وفي ياقوت : « وساعة موافاة سفنهم » فصرنا كلمة « سفن » .
- (٩) في نسختنا : « قد خرج » - في ياقوت : « يخرج » .

ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيد^(١) ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان ، وحولها صور صغار ؛ وخلف تلك الصور خشب طوال ، قد نُصبت في الأرض ؛ فيوافي إلى الصورة الكبيرة ، ويسجد لها ، ثم يقول لها : « يا ربّ قد جئت من بلد^(٢) بعيد ، ومعي من الجوارية كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلدأ » ، حتى يذكر جميع ما قدم^(٣) معه من تجارته . [ثم يقول]^(٤) : « وجئتك بهذه الهدية » - ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة - [ويقول]^(٥) : « أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودرهم كثيرة فيشتري مني كلّ ما^(٦) أريد ولا يخالفني فيما أقول » ؛ ثم ينصرف .

فإن تعرّس عليه يبعه وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، فإن تعذر^(٧) ما يريد حمل إلى كلّ صورة من تلك الصور الصغار هدية ،

(١) يملق فرون من ٩٧ على نبيد ، فينقل آراء زملائه ، بأنه قد يتخذ من التمر ، أو هو كما في رحلة عبد اللطيف البغدادي : « وشراهم المرز وهو لبيد يتخذ من القمح » .

(٢) في ياقوت : « من بلد » - وفي نسخة كوبنهاغ : « من بلد بعيد » ويبدو أن هذه المخطوطة من معجم ياقوت تنفق في كثير مع روايات نسختنا عن ابن فضلان . وهذا يدل على أن المعجم يجب أن يباد طبعه على ضوء المخطوطات المتفرقة .

(٣) في طيبة فرون لبانوت عن الروس : « جميع ما تقدم معه من تجارته » .

(٤) أضفناها عن ياقوت الباق .

(٥) أضفناها كذلك عن ياقوت لتأم الباق ووضوحه . وحذنا الفاء قبل فعل « أريد » لتابعة ياقوت .

(٦) في نسختنا : « كما أريد » - وفي ياقوت : « كلما أريد » فصورناها .

(٧) في ياقوت : « فإن تعذر عليه » .

وسألها^(١) الشفاعة ، وقال : « هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه^(٢) » ، فلا يزال يطالب^(٣) إلى صورة صورة يسألها ، ويستشفع بها ويتضرّع بين يديها ، فرّما تسهل^(٤) له البيع فباع ، فيقول : « قد قضى ربي حاجتي ، وأحتاج أن أكفيه » . فيعمد إلى عدة من الغنم أو البقر^(٥) فيقتلها ويتصدق^(٦) ببعض اللحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين [يَدَيَّ]^(٧) تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي^(٨) حولها . ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك . فيقول^(٩) الذي فعله : « قد رضي ربي عني وأكل هديتي » .

* * *

وإذا مرض منهم الواحد [ضربوا له خيمة]^(١٠) ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلمونه ، [بل

(١) في نسختنا : « وسألهم » - وفي ياقوت : « وسألها » .

(٢) ، (٣) كلمتان زائدتان هنا ، لا تقمان في ياقوت .

(٤) في نسختنا : « يسهل » - وفي ياقوت : « تسهل » .

(٥) يزيد ياقوت : « على ذلك » .

(٦) في نسختنا : « ويصدق » - وفي ياقوت : « ويتصدق » .

(٧) أضفناها من ياقوت .

(٨) في نسختنا : « الذين » - وفي ياقوت : « التي » .

(٩) في نسختنا : « ويقول » - وفي ياقوت : « فيقول » .

(١٠) بياض في نسختنا أكلناه من ياقوت .

لا يتماهدونه [^(١) في كل أيام ^(٢) مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً .
فإن برى، ^(٣) وقام رجع إليهم ، وإن مات أحرقوه ، فإن كان مملوكاً تركوه [٢١١ و]
على حاله تأكله ^(٤) الكلاب وجوارح الطير .

وإذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه
حبلاً وثيقاً ، وعلقوه [فيها ، ويبقى معلقاً] ^(٥) حتى يتقطع [من
المكث] ^(٦) بالرياح والأمطار .

* * *

٢٢

وكان يقال [لي] ^(٧) إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها
الحرق . فكنت أحب أن أقف على ذلك ، حتى بلغني موت رجل منهم
جليل ، فجملوه في قبره ، وسقفوا ^(٨) عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع
ثيابه وخياطتها .

-
- (١) بياض كذلك في نسختنا ، أخذناه من ياقوت .
(٢) في ياقوت : « في كل أيام » ونعل كلمة « سقطت بين كل وأيام » ، مثل كلمة « ثلاثة » أو أن تكون
« في كل أيام مرضه » كما في تعليقات المستشرق لرون من ١٠١ ، فأخذنا بها عن نسخة كوبنهاغن لياقوت .
(٣) في النسخة : « برأ »
(٤) في نسختنا « يأكله » - وفي ياقوت « تأكله » .
(٥) بياض مأخوذ من ياقوت .
(٦) إضافة أخذناها من ياقوت . وفي نسختنا « ينقطع بالرياح والأمطار » - وفي ياقوت : « حتى ينقطع
من المكث إما بالرياح أو بالأمطار » .
(٧) الزيادة من ياقوت وفيه : « انهم كانوا يفعلون » .
(٨) في نسختنا : « وسقفوه » - وفي ياقوت : « وسقفوا » .

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها ويحرقونها . والغني يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث . فثلث لأهله ، وثلث^(١) يقطعون له به ثياباً ، وثلث يبنذون^(٢) به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها ، وتُحرق مع مولاهما .

وهم مستهترون بالنبيذ^(٣) يشربونه ليلاً ونهاراً ، وربما مات الواحد منهم والقدح في يده . وإذا مات الرئيس [منهم]^(٤) قال أهله لجواريه وغلمانهم : « من منكم يموت معه ؟ » فيقول بعضهم : « أنا » فإذا قال ذلك ، فقد وجب [عليه]^(٥) لا يستوى له أن يرجع [أبداً]^(٦) ، ولو أراد ذلك ما ترك ، وأكثر من يفعل [هذا]^(٧) الجواري .

* * *

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا الجواريه : « من يموت

(١) في نختنا : « وثلث يقطعون ... وثلث يبنذون » وهو خطأ فأصلها .

(٢) في ياقوت : « يشربون به نبيذاً » .

(٣) في ياقوت : « مستهترون بالخمر يشربونها » .

(٤) زيادة من ياقوت .

(٥) زيادة من ياقوت .

(٦) زيادة كذلك من ياقوت وفي عدد الحرق يماق فروع هذا ص ١٠٥ على السيد والغلمان فيقتل عن شمس الدين الدهشقي بالورقة (١٣٣ و) قوله : « وهؤلاء يحرقون ملوكهم إذا ماتوا ويحرقون معهم عبيدهم واماهم ونساءهم ، ومن كان خاصاً بهم كالكتاب والوزير والتدبير والطبيب » .

(٧) في نختنا : « وأكثر من يفعل الجواري » - وفي ياقوت : « وأكثر ما يفعل هذا الجواري » مأخذاً اسم الإشارة .

معه « ؟ فقالت ^(١) إحداهن : « أنا » . فوكلوا بها جارتين تحفظانها وتكونان معها حيث ^(٢) سلكت ، حتى أنهما ربما غسلتا ^(٣) رجلها بأيديهما . وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له ، واصلاح ما يحتاج إليه . والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة .

فلما كان ^(٤) اليوم الذي يُحرق فيه هو والجارية ، حضرت إلى النهر [الذي] فيه ^(٥) سفينته ، فإذا هي قد أخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الحدنك ^(٦) وغيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأناوير الكبار ^(٧) من الخشب ، ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب . وأقبلوا يذهبون ويحيئون ^(٨) ويتمكلمون [بكلام لا أفهم ، وهو بعد في قبره لم يُخرجوه] ^(٩) . ثم جاءوا بسرير فجعلوه

(١) في نسخة : « فقال » وهي خطأ .

(٢) في ياقوت : « حيث ماسلكت » .

(٣) في نسخة : « غسل رجلها » - وفي ياقوت : « غسلنا رجلها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٤) في نسخة : « في اليوم » وحرف الجر زائد ، لعذفتاه وهو لم يقع في ياقوت .

(٥) في نسخة : « إلى النهر سفينته فيه » - وفي ياقوت : « الذي فيه سفينته » فأضفت الذي وقدمنا حرف الجر وضميره .

(٦) في نسخة : « من خشب الحدنك » - وفي ياقوت : « من خشب الخلدج » - وفي طبعة فردن للنص العربي : « من خشب الخلدج » وهو يلاق بالصفحة ١٠٨ تعليقات مطولة ، « والخلنج على وزن سند شجر يكون بأطراف الهند ، وقيل بكثرة في جرجان ، وتتخذ من خشبه الأواني ، فارسي معرب » - ولله الحدنك نفسه - انظر الحضارة الإسلامية للز ٢ / ١٨٤ والنصوص العربية عند فردن حيث يصف زهره وجهه ولونه ولون عوده .

(٧) في نسخة : « مثل الأناوير الكبار » وفي ياقوت : « مثل الاناس والكبار من الخشب » والأناوير جمع أنبار أو أنبير فارسية الأصل تعني فيما تعني الجسر الذي يوضع السفينة .

(٨) في نسخة : « ويحيون » وهي مصحفة .

(٩) هنا يياض وطمس أذهب الكلمات وأبقى حرفاً قليلاً ، فأكملناه من ياقوت .

على [السفينة وغشوه بالمضربات الديباج الرومي]^(١) والمساند الديباج [الرومي] ، ثم^(٢) جاءت [امرأة عجوز يقولون لها]^(٣) « ملك الموت ، ففرشت على السرير الفرش^(٤) التي ذكرنا . وهي وليت خياطته وإصلاحه ، وهي تقتل^(٥) الجواري ؛ ورأيتها جوان بيرة^(٦) ، ضخمة ، مكفهرّة .

فلما وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب ونحّوا الخشب ، واستخرجوه في الإزار الذي^(٧) مات فيه ، فرأيت أنه قد اسودّ لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبیذاً وفاكهة وطنبوراً ، فأخرجوا جميع ذلك ، فإذا هو لم ينتن ولم يتغير^(٨) منه شيء غير لونه .

فألبسوه سراويل^(٩) ورائاً وخفّاً^(١٠) وقرطفاً وخفتان ديباج له أزرار

-
- (١) بياض كذلك ملأه من ياقوت - والمضربات : المساند - والديباج الرومي : ضرب من الثياب ، وقبل المنسوج من ألوان مختلفة ، فارسي معرب .
- (٢) في نسختنا : « وجاءت » - وفي ياقوت : « ثم جاءت » .
- (٣) بياض في نسختنا أكتناه من ياقوت .
- (٤) في ياقوت : « ففرشت على السرير الذي ذكرناه » .
- (٥) في ياقوت : وهي تقبل » .
- (٦) في نسختنا « جوان بيرة » - وفي ياقوت : « حواء بيرة » وقد عالج المنشرفون هذه الكلمة ، لم أرأي أكثرهم أنها فارسية تتركب من كلمتين (جوان وبيرة) أي شابة عجوز ، وفي نسخة الحاجم لدوزي ١ / ٢٢٩ يحسبها « جوانبيرة » ويقول أنها بمعنى ساحرة أو تحترف صناعة الحر وهي الالهة الموت في الميثولوجيا .
- (٧) في نسختنا : « الدين » وصوابها ما رسمنا .
- (٨) في نسختنا : « ولم تغير » وصوابه في ياقوت .
- (٩) السراويل : هي الثلوار بالتركية ، وهو لباس قديم منذ سليمان النبي ، كما في السيوطي ، وقد مر بنا شرح الزان على أنه نوع من الأحذية .
- (١٠) الخف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل ، سمي كذلك لحفته .

ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج ستورية^(١) . وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة . وأجلسوه على المضربة وأسندوه^(٢) بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه .

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه ، وجاءوا بكلب فقطعوه نصفين^(٣) ، وألقوه في السفينة . ثم جاءوا بجميع^(٤) سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة .

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضاً وألقوهما فيها . ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما ، وطرحوهما فيها .

والجارية التي تريد [أن] تقتل^(٥) ذاهبة وجائية تدخل قبة قبة من قبابهم ، فيجامعها صاحب^(٦) القبة ، ويقول لها : « قولي لمولاي إنما فعلتُ هذا من محبتك » .

* * *

-
- (١) في ياقوت : « ديباج ستور » .
 (٢) في نختنا : « وسندوه » - في ياقوت « وأسندوه » .
 (٣) في نختنا : « بنصيفين » وفي ياقوت : « نصفين » .
 (٤) في نختنا : « جمع سلاحه » .
 (٥) في نختنا : « تريد تقتل » - في ياقوت : « التي تقتل » وفي مخطوطة كويناغ لياقوت : « تريد أن تقتل » وهي قرية من مخطوطتنا ، فأضفنا أن متابعة للمخطوطة .
 (٦) في ياقوت : « فيجامعها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولي » وفي طبعة فريد : « فيجامعها صاحب القبة يقول لها » - ومخطوطات ياقوت قرية مما في نختنا ، فأبقينا على روايتنا - وأما في كتاب هفت اقليم لأمين الرازي فالتفصيل يزيد النص أهمية ، وقد نقل عن مخطوطة لابن فضلان ضاعت -
 كالارس ١٢٨ .

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاءوا بالجارية إلى شيء ، قد عملوه مثل ملبن^(١) الباب ، فوضعت رجلها^(٢) على أكف الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام [لها]^(٣) ، فأنزلوها . ثم أصعدوها ثانية^(٤) ففعلت كفعليها في المرة الأولى ، ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ، ففعلت فعلها في المرتين . ثم دفعوا إليها^(٥) دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة .

فسألت الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرة^(٦) أصعدوها : [هوذا أرى أبي وأمي]^(٧) ، وقالت في الثانية : هوذا [أرى]^(٨) جميع قرابي الموتى [قعوداً ، وقالت في المرة الثالثة : هوذا أرى مولايم قاعداً في]^(٩) الجنة . [والجنة حسنة خضراء]^(١٠) ، ومعه الرجال [والغلمان :

(١) ملبن الباب : قالب الآجر ، وهو هنا خدود الباب من عوارض الفلق يضم ألواح ، ولبننا الباب : جانباه (والفلق عند البنائين حجر يميل في وسط المذمارك يسكن به) .

(٢) في ياقوت : « رجالها » .

(٣) زائدة من ياقوت

(٤) في نسختنا : « الثانية » وصوابها ما في ياقوت « ثانية » - وفي طبعة فردن « الثانية » فكأنما أخذت عن مثل نسختنا .

(٥) في ياقوت : « دلموا لها » .

(٦) في ياقوت : « قالت في المرة الأولى » .

(٧) بياض في الأصل أكملناه من ياقوت .

(٨) زيادة من ياقوت للسياق .

(٩) بياض كذلك ، ملأناه عن ياقوت .

(١٠) جملة طمس أكثرها وبقي منها بعض الحروف فأكملناها عن ياقوت .

وهو يدعوني^(١) || فاذهبوا [بي إليه] « فَرَّوْا بِهَا »^(٢) نحو السفينة فنزعت [٢١٢و]
سوارين^(٣) كانا عليها ، ودفعتهما إلى المرأة^(٤) الَّتِي تُسَمَّى [ملك الموت
وهي]^(٥) الَّتِي تَقْتُلُهَا . ونزعت خلخالين كانا^(٦) عليها ، ودفعتهما [إلى
الجاريتين اللتين كانتا تخدمنها وهما ابنتا]^(٧) المرأة المعروفة بملك الموت .

ثم أصمدوها إلى السفينة ، ولم يدخلوها [إلى القبة]^(٨) . وجاء الرجال
ومعهم التراس والخشب^(٩) ، ودفعوا إليها قدحاً نبذاً فغنت عليه وشربته .
فقال لي الترجمان : « إنها تودّع صواحبها »^(١٠) بذلك « . ثم دُفِعَ إليها قَدَحٌ
آخر ، فأخذته وطوّلت الغناء ، والمجوز تستحتمها على شربه والدخول إلى
القبة التي فيها مولاهما . فرأيتها وقد تبلّدت^(١١) وأرادت دخول^(١٢) القبة ،

(١) ياض كذلك نلقاه عن ياقوت .

(٢) جملة طمس أكثرها وبقيت حروف ، فأكملناها عن ياقوت .

(٣) في نسختنا : « فنزعت وارين كانا عليها » - في ياقوت : « فنزعت - وارين كانتا معها » .

(٤) في ياقوت : « المرأة المجوز » .

(٥) ياض أكملها من ياقوت .

(٦) في ياقوت « كانتا عليها » - والخلخال حلقة من لفظة كسوار تلبسها نساء العرب في أرجلن .

(٧) جملة أصاب أكثرها طمس فحاشا وبقيت بعض حروف أكملناها من ياقوت ، وقد حذف
ياقوت كلمة « المرأة » .

(٨) في نسختنا : « ولم يدخلوا » ويصدها ياض أكملها عن ياقوت .

(٩) في نسختنا : « التراس الخشب » - وفي ياقوت « التراس والخشب » والتراس جمع ترس
وهو صفة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف والمحور .

(١٠) في إحدى نسخ ياقوت : « صويعياتها » .

(١١) تبلّدت : تردد متعبراً ، وفي الشعر القديم وردت الكلمة بهذا المعنى .

(١٢) في ياقوت : « الدخول الى القبة » .

فأدخلت [رأسها] ^(١) بينها وبين السفينة ، فأخذت المعجوز رأسها وأدخلتها ^(٢) القبة ، ودخلت معها .

وأخذ ^(٣) الرجال يضربون بالخشب ^(٤) على التراس لئلا يُسمع صوتُ صياحها | فيجزع غيرها | ^(٥) من الجوّاري ، ولا يطلبن الموتَ مع مواليهن . ثم دخل ^(٦) إلى القبة ستة رجال [فجاءموا] ^(٧) بأسرهم الجارية . ثم أضجموها إلى جانب ^(٨) مولاها ، وأمسك اثنان رجلينها واثنان يديها . وجعلت المعجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً [مخالفاً ، ودفعته] ^(٩) إلى ائتين ليجذباه ^(١٠) . وأقبلت ومعهما خنجر ^(١١) عريض النصل ، [فأقبلت تدخله] ^(١٢) [بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه] ^(١٣) والرجلان يخنقانه بالحبل حتى ماتت .

-
- (١) إضافة من ياقوت لملء البياض في النسخة - وفي ياقوت : « فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة » .
 (٢) في نسختنا : « وأدخلته القبة » - وفي ياقوت : « وأدخلتها القبة ودخلت معها المعجوز » .
 (٣) في ياقوت : « وأخذوا الرجال » .
 (٤) في نسختنا : « يضربون الخشب » - وفي ياقوت : « يضربون بالخشب » .
 (٥) طس أكثر حروف الكلمة فأكملناها عن ياقوت .
 (٦) في ياقوت : « دخل القبة » .
 (٧) ياض أكملناه من ياقوت .
 (٨) في ياقوت : « إلى جنب مولاها الميت » .
 (٩) ياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - ويرى المستشرق قرهه في تفسير الكلمة شها بالآبة الكريمة : « أيديهم من خلاف » .
 (١٠) في نسختنا « ليجذباه » وهو خطأ في النسخ على عادة الناسخ .
 (١١) في نسختنا : « ومعهما جبر » وهو تحيف صوابه في ياقوت .
 (١٢) طست أكثر حروف هذه الجملة فأكملناها عن ياقوت .
 (١٣) ياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - وفي بعض نسخ ياقوت - ططر يبدو انه سقط من نسختنا أو - من

ثم وافى [أقربُ النَّاسِ إلى ذلك الميث فأخذ خشبة ^(١)] وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقري [نحو] ^(٢) قفاه إلى السفينة، ووجهه [إلى الناس] والخشبة ^(٣) المشعلة في يده الواحدة، ويده الأخرى على باب أسته، وهو عريان [حتى] أحرق الخشب المعبأ ^(٤) الذي تحت السفينة [من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاهما] ^(٥).

ثم وافى الناس بالخشب ^(٦) والخطب، ومع [كل] واحد خشبة قد ألهب رأسها، فيلقوها في ذلك الخشب. فتأخذ ^(٧) النار في الخطب، [ثم في السفينة ثم في القبة] ^(٨)، والرجل والجارية، وجميع ما فيها. [ثم هبت] ^(٩) ريح عظيمة هائلة [فاشتدَّ لهبُ النار] ^(١٠) واضطرم تسعيرُها، [وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعتَه] ^(١١) يكلم || الترجمان الذي [٢١٢ ظ]

- نسخة ياقوت المطبوعة هذا نصه : « وجرتها ثم أدخلتها مرة أخرى في غير موضع من بين أضلاعها ، وجرتها فلم تزل لدخل السكين وتجرها في موضع بين أضلاعها » ولعلَّ الجملة عندنا مختصرة من هذه .

(١) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت .

(٢) زيادة من ياقوت

(٣) في نسختنا : « ووجهه... والخشبة المشعلة في يده واحدة » - وفي ياقوت : « والخشبة في يده الواحدة » فرأينا أن كلمة (وجهه) زائدة فحذفناها لأنه لا تنتم لها ، فلمله يريد : « ووجهه إل الناس » ، ثم أصلحنا « الواحدة » .

(٤) في ياقوت : « الخشب الذي عمده تحت السفينة » .

(٥) إضافة من ياقوت من غير أن يوجد طمس أو نقص ، جعلناها لتنتم السياق .

(٦) في الأصل عندنا : « وافى الناس الخشب » وصوابها في ياقوت

(٧) في نسختنا : « وأخذ النار » فأضفنا الفاء .

(٨) بياض في نسختنا أتممناه عن ياقوت .

(٩) بياض كذلك ، لأننا عن ياقوت .

(١٠) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت ، وأصلحنا العبارة بعبارة حرفين سهلا في أولها « اضطرم » .

(١١) بياض في النسخة أكملناه عن ياقوت .

معي^(١)، فسألته [عما قال له]^(٢)، فقال : « إنه يقول : أتم^(٣) يا معاشر العرب حمقى » [فقلت : « لم^(٤) ذلك ؟ » قال : « إنكم^(٥) تمعدون إلى أحب الناس إليكم] وأكرمهم عليكم فتطرحونه [^(٦) في التراب ، وتأكله^(٧) التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه [بالنار]^(٨) في لحظة ، فيدخل [الجنة من]^(٩) وقته وساعته » .

[ثم ضحك ضحكاً مفرطاً]^(١٠) فسألتُ عن ذلك فقال : « مِنْ مَحَبَّةِ رَبِّهِ له ، قد بعثَ الريحَ حتَّى [تأخذه]^(١١) في ساعة » . فما مضت^(١٢) على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والخطب والجارية والمولى رماداً رميداً^(١٣) .

-
- (١) في ياقوت : « الذي معه » .
 (٢) طمست حروف كثيرة من هذه الجملة فتمسرت قراءتها ، لذلك أخذناها من ياقوت ، وكانت في الأصل : « عن ٤٠٠٠ » .
 (٣) في ياقوت : « أتم معاشر » .
 (٤) يياض لم تقع على تنتمه في ياقوت فقد اختصره ، ولعلنا وقلنا في اختيار ما يجل عمله ، وقد وضع مثله في طبعة وليدي .
 (٥) في ياقوت : « حمقى لأنكم تمعدون » .
 (٦) يياض في نسختنا أخذناه من ياقوت .
 (٧) في ياقوت : « فتأكله الهوام والدود » .
 (٨) زيادة من ياقوت من غير أن يقع عندنا طمس او يياض ، فأخذناها لتتمة السياق .
 (٩) يياض في نسختنا أكلناه من ياقوت .
 (١٠) زيادة رأينا أضافها من ياقوت ، لاكمال السياق ، وأما جملة : « سألت عن ذلك » فهي ناصة في ياقوت ، والجملة فيه كما يلي : « ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال من محبة ربه » .
 (١١) يياض في نسختنا أقمناه عن ياقوت في بعض نسخ ياقوت : « قد تهب الريح » وكذلك في طبعة فوهن ص ٢٠ .
 (١٢) في نسختنا : « فافضت » وهو تصحيف صوابه في ياقوت .
 (١٣) في نسختنا : « رماداً ثم رمداً » ولم نزلها معنى ، وصوابها في ياقوت : « رماداً رميداً » - والرماد دفاق الفحم من حراقة النار - والرمدد : المتناهي في الاحتراق والدقة .

ثم بنوا على موضع السفينة، [وكانوا] ^(١) قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتلّ المدوّر، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدّك ^(٢)، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس، وانصرفوا.

* * *

قال :

ومن [رسم] ^(٣) ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده، فهم ^(٤) يموتون بموته ويقتلون دونه . ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه ^(٥)، وتضع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطوؤها ^(٦). وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سرير ^(٧)، وسريره عظيم مرصّع بنفيس الجواهر ^(٨)، ويجلس معه على السرير أربعون جارية [لفراشه] ^(٩)، وربما وطئ الواحدة منهم بحضرة أصحابه الذين ذكرنا .

-
- (١) زيادة من ياقوت يقتضيا الباق ، ولم يقع طمس أو بياض .
 (٢) في نسختنا : « خدّك » - وفي ياقوت : « خدّج » وهو واحد ، فارسية معربة .
 (٣) بياض أكملناه عن ياقوت .
 (٤) في نسختنا : « منهم يموت بموته » - وفي طبعة لرهون : « منهم يموتون بموته » - وفي ياقوت : « فهم يموتون بموته » وهو أصوب في رأينا .
 (٥) في نسختنا : « وتغسل لباسه وتضع » - في ياقوت : « وتغسل رأسه وتضع » .
 (٦) في نسختنا : « يطأ هؤلاء » وهو خطأ من النسخ قد ممس على المني ورم .
 (٧) السرير : التخت ، ويقبل على تخت الملك لا يجلب من سرور ، جمه أسرة وسرر .
 (٨) في ياقوت : « بنفيس الجواهر » .
 (٩) بياض في نسختنا ، أكملناه عن ياقوت .

ولا ينزل عن سريره، فإذا ^(١) أراد قضاء حاجة [قضاها] ^(٢) في طشت.
 وإذا أراد الركوب قدموا ^(٣) دابته إلى السّرير [فركبها منه] ^(٤) . وإذا
 [أراد] ^(٥) النزول قدم دابته حتى ^(٦) يكون نزوله عليه . وله خليفة
 يسوس الجيوش ؛ [ويواقع الأعداء ويخلفه] ^(٧) في رعيته .

-
- (١) في نسختنا : « فان أراد » - في ياقوت : « فاذا أراد » .
 (٢) بياض في النسخة نقلناه عن ياقوت - والطشت أو الطست : إناء من نحاس لفضل اليد، مؤنثة ، جمعها طشوت
 (٣) في نسختنا : « قدم دابته » - وفي ياقوت : « قدموا دابته » .
 (٤) بياض في الموضعين من النسخة ملأناها عن ياقوت .
 (٥) في نسختنا : « حتى ينزل دابته » - وفي ياقوت : « حتى يكون نزوله عليه » ولعلها أصوب
 فانخذناها متناً .
 (٦) بياض وطس حذفنا أكثر معالم الجملة فرددناها عن ياقوت - وهنا ينتهي فصل الروس يقول فيه
 ياقوت ٢/ ٨٤٠ : « هذا ما نقلته من رسالة ابن ضلّان حرفاً حرفاً ، وعليه عدة ماحكاه والله أعلم
 بصحته » وبذلك يقف المستشرق فرعون في تعليقاته طبعاً ، لانتهاه فصل الروس .

الحسن

٢٣

فأما ^(١) ملك الخزر ، واسمه ^(٢) خاقان ، فإنه لا يظهر إلا في كل [أربعة أشهر متتازها] ^(٣) ، ويقال له خاقان الكبير ، ويقال لخليفته خاقان به ، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ^(٤) ويدبر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر ويفزو . وله تدعى الملوك الذين يصاقبونه ^(٥) . ويدخل [في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلا حافياً

(١) أوردت نسختنا الالة سطور عن الخزر ، ثم بترت وخرمت أوراقها بعدها . وكنا قدرونا ان النقص فيها كان بقدر ورقة أو ورقتين لحسب . وعدنا الى ياقوت بمادة الخزر . فإذا به يثبت عن ابن فضلان ثلاث صفحات قال إنه نقلها من رسالته . ولكن التعقيب الطويل ساقنا إلى أن النصف الأول منها ليس لابن فضلان ، لأنه يقع في الاصطخرى ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وفي ابن حوقل ٣٨٩/٢ فلل ياقوت نقل عنها ، وأما النصف الثاني فلم نجده في هذين المصدرين ، وإنما انورد به ياقوت ٤٣٨/٢ ، فأورد هذه السطور الثلاثة وتابع النقل عن ابن فضلان ، فأثبتنا ذلك كله على أنه لابن فضلان برواية ياقوت ، لأننا رأينا فيه نفس كالتبا وألفاظه ولهذا ضمناه اليه وجعلناه بين معقوفتين ، كما شرحنا الأمر في المقدمة على تفصيل ، وهكذا اتصلت سطور نسختنا بسطور ياقوت . وقد رأينا أخيراً بعد طبع هذه السطور أن وليدي فعل مثلاً فعلنا في طبعته .

(٢) في ياقوت : « وأما ملك الخزر فاسم خاقان وأنه » - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فان عظيمهم يسمى خاقان خزر وهو أجل من ملك الخزر ، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه ، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاءوا به فيخنتونه بحريرة ... الخ » والتفصيل فيه هام يجدر الرجوع اليه ، ويقول ان الخزر لا يشبهون الأتراك فهم سود الثور .

(٣) ناقص في نسختنا أخذناه عن ياقوت .

(٤) في نسختنا : « الجيوش ويسوس » - في ياقوت : « الجيش ويسوسها » وهي أصح .

(٥) صاف : غارب ودتا - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « ملا يراه أحد من الأتراك ومن يصاقبهم من أصناف الكفر الانصراف ولم يقاتله تمظيلاً له » . وهنا تقف النسخة وتنتهي . ومن هنا نبدأ بالنقل عن ياقوت حرباً انماماً للنص ٤٣٨/٢ - ٤٣٩ فتجعله بين هاتين المعقوفتين . وقد نقل مثلنا المشرق الروسي فعلق على الخزر وأتبعه بابن فضلان من هذا المكان - انظر طبعة كروالفسكي ص ١٦٦ - ١٧١ وفعل قبله مثل هذا فردد من طبع فصل الخزر عن ياقوت ، وقد رأينا أن وليدي فعل مثل ذلك .

ويده حطب ، فإذا سَلِمَ عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود ، جلس مع الملك على سريرهِ عن يمينه . ويخلفه رجلٌ يقال له كندر^(١) خاقان ، ويخلف هذا أيضاً رجل يقال له جاوشيفر^(٢) .

ورسم الملك الأكبر^(٣) أن لا يجلس للناس ، ولا يكلمهم ، ولا يدخل عليه أحدٌ غير من ذكرنا . والولايات في الحل والعقد والعقوبات وتدير المملكة على خليفته خاقان به .

ورسمُ الملك الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة^(٤) فيها عشرون بيتاً ، ويحفر له في كل بيت منها قبر ، وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ؛ وتفرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك^(٥) . وتحت الدار نهر ؛ والنهر^(٦) نهر كبير يجري ، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ، ويقولون : « حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ولا هوام » .

وإذا دُفن ضربت أعناق الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من

(١) انظر حدود العالم ، طبعة مينوسكي ، لندن ١٩٣٧ ، ص ٣١٣ - ٣٢٤ .

(٢) في بعض المصادر : « جاوشيفر » وكلمة جاويش تركية معروفة - انظر دوزي تكملة معاجم العرب ، ودائرة المعارف الإسلامية ٨٦٤/١ .

(٣) في نسخة فراهن : « الملك الأعظم الأكبر » .

(٤) يترجمها فراهن بالعصر « Palatium » .

(٥) النورة : في الأصل حجر الكلس ، وفيل إنها عربية وقيل معربة .

(٦) وردت هذه الجملة كذلك في الأصل - وأورد المستشرق الروسي ١٦٨ رواية أخرى في بعض النسخ

هذا نصها : « ونحت الدار نهر والنهر كبير يجري فوقه ، ويجعلون ذلك القبر بينها » - وفي بعض مخطوطات ياقوت الأخرى : « ويجعلون النهر فوق ذلك القبر » .

تلك البيوت . ويسمى قبره الجنة . ويقولون : « قد دخل الجنة » ، وتُفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب .

ورسمُ ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ^(١) ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعاً أو كرهاً . وله من الجواري السراري لفراشه ستون ، ما منهن إلا فائقة الجمال . وكل واحدة من الحرائر ^(٢) والسراري في قصر مفرد ^(٣) ، لها قبة مغطاة بالساج ^(٤) ، وحول كل قبة مضرب ^(٥) ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها . فإذا أراد أن يطاء بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى ^(٦) يجعلها في فراشه . ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ يدها وانصرف ، ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .

وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين المواكب ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلا خيراً لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه .

(١) في نسخة فرهن عن الخزر : « بنت » .

(٢) في نسخة فرهن : « من الجوار والسراري » .

(٣) في طبعة فرهن : « قصر مفرد » .

(٤) الساج : شجر يعظم جداً ، لا يبيت إلا ببلاد الهند ، وغشبه أسود رزني لانهكاد الأرض تبيه ، جمه سيجان ، الواحدة ساجة .

(٥) المرب : الساحة والمكان كما في مجمع دوزي ، وقيل هو الفسطاط العظيم جمه مضارب .

(٦) في فرهن : « حتى يحلوسها » وهي خطأ .

ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلتها الرعية وخاصته ، وقالوا : « هذا قد تقص عقله واضطرب رأيه » .

وإذا بعث سرية لم تولى الدبر^(١) بوجه ولا سبب . فإن انهزمت قُتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القواد وخليفته فتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهمهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم ، وربما علّقهم بأغناقهم في الشجر ، وربما جملهم إذا أحسن إليهم ماسة .

ولملك الخزر مدينة عظيمة على « نهر إتل » ، وهي جانبان . في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه . وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك^(٢) يقال له خز ، وهو مسلم . وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره^(٣) .

(٢) رأى المستشرق في هذه الصيغة اقتباساً من القرآن الكريم : « ويولون الدبر » ٤٤ هـ / ٤ من سورة الدبر . ونحن نرى في الجملة التالية : « بوجه ولا سبب » صيغة من صيغة ابن فضال كررها في الرسالة بمواضع منها .

(٣) يروي المستشرق الرومي نصاً من بعض المخطوطات عند فرهن : « رجل من أصحاب غلمان الملك يقال له حزمة » وأما أصوب من « خز » . . .

(٤) هنا رأينا أن نقف عن النقل عن ياقوت ، لأن ما بعدها لا يشبه أسلوب ابن فضال ، وبه جملة مؤرخة بعام حدوده سنة ٥٣١ هـ ، وقد عرفنا أن صاحبنا غادرها قبل ذلك . فتعذر لائزى رأى فرهن ووليدى ولا كرفافسكي في الحاقها بنسب الخزر على أنها لابن فضال . وإن كنا نعتقد أن الفصل ما يزال ناقصاً لم يتم ، ولكننا عملنا بالقول المشهور ما لا يدرك كله لا يترك جله .

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام والقبائل والطوائف
- ٢ - فهرس المواضع والأماكن
- ٣ - فهرس الحضارة واللغة
- ٤ - فهرس الكتب والمراجع
- ٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

فهرس الأعلام والقبائل والطوائف

أدخلنا في هذه الفهارس ما جاء في رسالة ابن فضلان وماورد في تعليقاتنا بالحواشي وما وقع في مقدمتنا لدراسة الرسالة وصاحبها ، لم نفرق بين المتن والحاشية بأرقام صغيرة أو كبيرة كما كنا نفعل دائماً وذلك لقلّة صفحات الرسالة . واعتبرنا كلمة ابن وأب أساسية في صلب الكلمة ، وجعلنا في هذا الفهرس كتب المؤلفين إلى جانب أسمائهم داخل الأقواس ، فقد ذكرناهم في الحواشي حيناً بأسمائهم وحيناً بعناوين كتبهم .

i

آل طولون ٣٨

ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٩ ،

ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ٦٨

ابن جرير الطبري (تاريخ الامم والملوك) ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١١٥ ،

ابن حوقل (صورة الارض) ١٥ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

١١٩ ، ١٦٩

ابن خرداذبة (المسالك والممالك) ١٤ ، ١٥ ،

ابن رسته (الأعلام النفيسة) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ،

ابن الطقطقي (الفخري في الآداب) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥ ،

ابن المديم (بغية الطلب) ٧٦

ابن الفقيه الهمداني (البلدان) ١٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١١٥ ،

ابن فضلان = أحمد بن فضلان

ابن قارن ٧٤

ابن مسكويه = مسكويه

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ٢٧ ، ١٣٢ ،

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ١٣١

أبو دلف (مسعر بن مهلهل) ١٧ ، ١٠٦ ،

أبو عبيدة البكري (معجم ما استعجم) ٤٦ ، ٥٥ ، ١٢٢ ،

الأتراك (أو الترك) ٧ ، ٩ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٩ ، ٩١ ،

٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ،

أترك بن القطغان ١٠١

أحمد بن علقى صعلوك ٣٨ ، ٧٤

أحمد بن فضلان بن العباس (بن راشد بن حماد) ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ،

٢١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٣

أحمد بن موسى الخوارزمي ٧٧ ، ٧٨

الادريسي (نزهة المشتاق) ٤٤ ، ٦٩ ، ١٤٩

اسماعيل بن أحمد (صاحب خراسان) ٢٤ ، ٦٩

الاصطخري (مسالك الممالك) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٩١ ، ١٢٧

الأطروش العلوي ٧٥

ألمش بن يلطوار (ألمش بن شلكي يلطوار) ٢٢ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١١٧

امرؤ القيس (الشاعر) ١٣

ايلغز ١٠٣

ب

بارس الصقلاي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ١٢٨ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

البجناك ٥٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧

البخاري (الصحيح) ١١٨

برتولد (المستشرق) ٤٦ ، ٩١ ، ١١٧

البرنجار ١٣٥

بروكلمن (تاريخ الأدب العربي) ٧٦

اليزنطيون ٢٩

البكري = أبو عبيدة البكري

بلال (مؤذن النبي صلعم) ١٢١

البلغار ٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٦٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦

بلاك (المستشرق) ٤٨ ، ٩

بيلايف (المستشرق) ١٠

ت

الترك = الأتراك

التركمات ٨١

التغزوية ٩١

تكوين التركي ٢٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٦

ج

الجرمان ١٦

جعفر بن عبد الله (أمير بلغار) ١١٨

الجهشياري ٦٧

الجوهري (الصحاح) ٨٢ ، ١١٤

جوينبول (المستشرق) ١٢١

الجهاني (أبو عبد الله محمد) ٥٦ ، ٧٦

ح

حامد بن العباس (الوزير) ١٨ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١١٤

الحسن بن بلطوار — ألمش بن يلطوار

حمويه كوسا ٧٥

خ

خاقان الخزر ٥٤ ، ٥٦ ، ١٦٩

الخزرجي ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ،
١٧٢ ، ١٧١

الخرزجية ٩١

خليل مردم ٩ ، ١٠

د

الداعي (الحسن بن القاسم الحسني) ٧٤ ، ٧٥

دفورجاك (المستشرق) ٤٦

دغلوب (المستشرق) ٩ ، ٤٨

دهسائي (سلفستر المستشرق) ١٤٩

دوزي (تكملة معاجم العرب ومعجم الملابس) ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،

١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١

ر

راسموسن (المستشرق) ٤٤

الروس ٧ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦

الروسي = كوفالفسكي

الروم ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

ريتر (تعليقات المستشرق ريتر) ٤٨ ، ١٣٣

ريشارد فراي = فراي

روزن (المستشرق) ٤٦

ز

زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون) ١٧

كي وليدي طوغان (الطبعة الاولى لرسالة ابن فضلان) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ،

١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢

سى

- السامانيون ١٧
 الكاندنافيون ٢٩
 السلجوقيون ٩١
 سلام الترجمان ١٧ ، ١٣٨
 السلافيون ١٦
 سليمان النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٥٨
 سميرادسكي (هنري) ٣٣
 سواز ١٤٠
 السودان ١٨
 سوسن الرسي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٨
 السيوطي (جلال الدين) ١١٨ ، ١٥٨

ش

- شمس الدين الدمشقي = شيخ الربوة
 شيخ الربوة (نخبة الدهر) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦

ص

- الصابي (المؤرخ ، تحفة الأمراء) ١٨ ، ١٩
 صاعد بن مخلد ١٩ ، ٢٠
 الصقالبة ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥

ط

- طالوت ٢٧ ، ٣٧ ، ١٣٥
 طاهر بن علي ٧٦
 طرخان ١٠٣ ، ١٠٤

ع

عبد الله ٢٧ ، ٣٨ ، ١٣٥

عبد الله بن باشتو الخزري ٢٣ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠

العجم ٣٨ ، ٤٢

عديّ بن عبد الباقي (أبو عمر) ٢٠

عليّ بن أبي طالب ٨٢

عليّ بن عيسى (وزير المقتدر) ١١٥

عليّ بن عيسى بن الجراح ١٨

عليّ بن الفرات (أبو الحسن الوزير) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩

عمرو بن كلثوم (الشاعر) ١٥٠

عيسى بن محمد المروذي ٩١

عيسى بن مريم (عليهما السلام) ١١٨

غ

الغزية ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦

غطريف بن عطاء (عامل خراسان) ٧٩

ف

فراي ريتشارد (المستشرق تعليقات على الرسالة) ٩ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،

١١٠ ، ١٠٧

الفرنك ٢٩

فره ن (المستشرق في ترجمة ابن فضلان الى الألمانية) ٢٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ،

١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،

١٧١ ، ١٧٢

فستبرغ (المستشرق) ٤٦

الفضل بن موسى النصراني ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩

فلاديمير ٦٧

ق

قدامة بن جعفر ١٤

قریش ١٣

القطغان (أبو أترك) ١٠٢

القفجق ١٠٦

قلواس (دليل القافلة) ٨٨

ك

كانار (ترجمة ابن فضلان الى الفرنسية) ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١

كراتشكوفسكي (المستشرق) ٤٩ ، ٥٨

كرير (المستشرق) ٣٨

كندر خاقان ١٧٠

الكندي ١٤

كوذركين ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١

كوفاكسكي (مترجم رسالة ابن فضلان الى الروسية) ٥٠ ، ١١٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢

ل

ليلي بن نعمان الديلمي ٧٥

م

مأجوج (وأيجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨

ماركوارت (المستشرق) ٤٧

محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) ٢٧ ، ١١٧ ، ١٢١

محمد بن سليمان (فاتح مصر) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٥

محمد بن عراق (خوارزم شاه) ٨٠

محمد كرد علي ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٥١

المستعين بالله (ال خليفة) ١٣١

مسعر بن مهلهل = أبو دلف

المسعودي (مروج الذهب) ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٤٠

مسكويه (تجارب الامم) ١٩ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥

المتنضد بالله (الخليفة) ١٨

المقتدر بالله (الخليفة) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١١٧

المقدسي (أحسن التقاسيم) ١٥ ، ١٦ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩

المكتفي بالله (الخليفة) ٦٩

المهلبى ٧٥

النايفة الشيباني (ديوانه) ٨٢

النبيّ = محمد صلعم

نذير الحزمي ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١١٥

نسطور ٢٩

نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

نيكلسون (المستشرق) ٤٥

نيكيتا اليسيف (المستشرق) ٩

هـ

هارون الرشيد ١٧ ، ٧٩

الهنود ٣٣

و

الوائق بالله (الخليفة) ١٧ ، ١٣٨

وستفلد (المستشرق) ٤٦

ويسو ۱۲۶ ۱۳۵ ۱۳۷

۵

يَاجُوجَ (وَمَاجُوجَ) ١٧، ٣٩، ١٣٨

ياقوت الحموي (معجم البلدان) ١٠، ١٧، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤،

6 Y9 6 Y7 6 Y8 6 Y3 6 7A 6 7V 6 07 6 00 6 02 6 04 6 02 6 2A 6 27

6 1176 1106 1186 1136 1096 1036 916 886 826 876 856 81

6 141 - 138 6 137 6 134 - 127 6 120 6 124 6 123 6 118 6 117

152-101-100-6189

يغزو (ملك الترك) ١٠١

اليقوي ١٤

يلطوار = ألمش بن يلطوار

سال ۹۷، ۱۰۳، ۱۰۴

اليهود ٢٣، ٤٠، ٦١

اليونان ١٤

فهرس المواضع والأماكن

بحر القبحق ١٠٦	١
بحر ورنك ٤٦	آسية الصغرى ٤٤
بخارى ٢٥ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،	آقير ٧٦
٩١ ، ٨٨ ، ٨٠ ، ٧٩	آمل ٧٦ ، ٧٥
براغ ٤٦	الاتحاد السوفياتي ٩
بغداد (مدينة السلام) ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،	إتل ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٩ ،
٦٨ ، ٤٣ ، ٣٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣	١٧٢ ، ١٣٦ ، ١٢٦
١٤٠ ، ١٣٤ ، ١٠٣ ، ٧٧ ، ٧٣	أرغشستين ٦٨ ، ٧٧
بودابست ٧	أردكو ٨٢
بيكند ٧٦ ، ٧٨	أرمينية ١٥٠
د	استكهولم ٤٥
تركستان ١٠٦	اسكل ١٤١ ، ١٤٥
ج	اصهان ٧٤
الجال ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٤	الاندلس ١٥ ، ١٦
الجل ١٥	أقرة ١٣
جران ٧٥ ، ١٥٧	إفريقية ١٤
الجرانية ٢٥ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،	أوربة ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٦٩ ، ٩١ ، ١٣١
١١٣ ، ٩٦ ، ٨٩	أوزبكستان ٧٦
الجزيرة العربية ١٣	ايران ٤٧
جيت ٨٩	ب
ح	باريس ٤٥
الحشة ١٣	بحر آزوف ١٠٦
حلب ٤٤ ، ١٠٩	بحر البلطيق ١٦

الريّ ٢٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٧٥	حلوان ٧٣
ز	الحيرة ١٣
زمنجان ٨٩	خ
س	خاركوف ٥٠
سان بطرسبورغ = لتفراڊ	خراسان ٢٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨١ ،
ساوة ٧٤	١٢٢
سرخس ٧٥ ، ٧٨	الغزر ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ١١٩ ،
سرقتد ٧٥ ، ٧٦	١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٥ ،
سمنان ٧٤	خلجة ١٣٥ ، ١٤٠ ،
ش	خوار الريّ ٧٤
الشام ١٣	خوارزم ٢٤ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ،
شتوتفارت ٤٨	٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ،
ص	٩٩ ، ٩٦
الصحراء الكبرى ١٥	د
الصين ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٩	دار البستان ٢٠
ط	الدامغان ٧٤
طبرستان ٧٥	دجلة = نهر دجلة
طهران ٢٥ ، ٧٤	الدسكرة ٧٣
طوس ٤٧ ، ٤٩	دمشق ٧ ، ١٣
ع	الدينور ٧٣
العراق ٦٩	د
غ	رباط طاهر بن عليّ ٧٦
غاة ٣٤	روستوك ٤٥
ف	الروسيا ١٦ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ،
فارس ١٥	٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٩ ،
	١٥٠

مرو ٥٢، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ١٠٣، ١٠٤،

مشهد = طوس

مصر ١٧، ٣٨، ٦٩،

موسكو ٢٢، ٤٩، ١٢٦،

ن

نصيبين ٦٨

نهر اتل = إتل

نهر أختى ١٠٦

نهر أذل ١٠٦

نهر أرخر ١٠٧

نهر أورن ١١٠

نهر أورم ١١٠

نهر باجاغ ١٠٧

نهر بايناخ ١١٠

نهر جاخا ١٠٧

نهر جابخش ١٠٥

نهر جام ١٠٥

نهر جاوشيز ١١٠، ١٤٠، ١٤١،

نهر جرمشان ١١٠

نهر جيحون ٢٥، ٧٥، ٧٦، ٨١، ٨٣،

١٠٧، ٨٦

نهر جيخ ١٠٧

نهر الدانوب ٩١

نهر دجلة ١٢٦

نهر سمور ١٠٧

نهر الفرات ١٩

فرنة ١١٥

القولغا = نهر القولغا

ق

قازان ٢٢

قرميسين (كرمانشاه) ٧٣

القسطنطينية ١٣

قشمهان ٧٥

القوقاز ١٤

قوس ٧٤

ك

كشمين = قشمهان

كبريج ٩

كوبنهاغ ٤٥، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٩،

كوغة ٣٤

كيماك ٩١

ل

لنفراد ٣٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧،

ليتيك ٤٧

ليدن ٦٧

م

المجمع العلمي العربي بدمشق ٧

المجمع العلمي السوفياتي ١٠

المحيط الاطلسي ١٤، ١٦، ٢٩،

المحيط الهندي ١٦

المخرم ٢٠

نهر القولفا ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٠، ٣٧،	النيجر ٢٩
٤٦، ٥٠، ٩١، ٩٤، ١٠٦	نيابور ٢٥، ٧٤، ٧٥، ٩٨
نهر كنال ١٠٧	هـ
نهر كنجلو ١٠٧	حراقة ٨٤
نهر الملك ٧٣	همدان ٢٥، ٧٣، ٧٤
نهر وتبا ١٠٦	الهند ١٤، ٢٩، ٣٤، ١٤٢، ١٥٧
نهر وارش ١٠٦	و
نهر وتيفغ ١١٠	واسط ٧٣
نهر يفندي ١٠٤، ١٠٥	الولايات المتحدة ٩
نهر يناسنه ١١٠	ويابة (كييف) ٤٦
النهر وان ٧٣	

فهرس الحضارة واللغة

جعلنا هذا الفهرس لترتيب الكلمات اللغوية التي شرحناها، وألفاظ الحضارة وكلماتها مما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن واللباس والرياش وأسماء الحيوان والنبات ، ومما يصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر عند العرب وعند غيرهم من الأمم التي زارها ابن فضلان .

والرقم الأول بعد الكلمة يدل على مكان شرحها والتعليق عليها في هذه الطبعة ؛ وأما الأرقام التالية فتدل على أماكن وجودها وتكرار ورودها .

د	أ
الدائق ٧٩	أزاح العلة ٧٦
الدراهم الممرقندية ٧٩	أقاده به ١٣٢
الدراهم الطازجة ٨٢	الأنابير ١٥٧
الدراهم الغطريفية ٧٩	ب
الدراهم المزيفة ٨٢	باي باف ١٠٤، ٩٨
الدراهم المسية = الدنانير المسية	بذرة ٧٧
درز القرطق ١٠٨	برنس ٨٧
الدنانير المسية ١٠٢، ٨٨	البوستين ١٠١، ٨٥
الدوامات ٨٢	ت
الديباج الرومي ١٥، ١٣١، ١٥٨	تبلد ١٦١
د	ج
ران ١٥٨، ٨٧	الجاورس ١٣٩، ١٠٤، ١٠١، ٩٥، ٨٦
رمدد ١٦٤	الجواري الروقة ١٥١
رمان أمليسي ١٢٨	جوان بيرة ١٥٨
س	ح
الساج (خشب) ١٧١	حراقة ٨٤
ساخرخ (مقياس) ١٣٠	خ
سبال، أسبلة ١٠٣، ١٠٠	خدنج = خدنك
السجو ١١٦	الخدنك (خشب) ١٠٥، ١٣٢، ١٤١،
سروال ١٥٨، ٨٧	١٦٥، ١٥٧
السثفر ١٠٧، ١٠٤، ٨٦	خفتان ١٥٨، ١٤٩، ١٠٤، ٩٨، ٨٧
سمور ١٢٩، ١٣٥، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٩	خلنج = خدنك
السيور ١٤٤	

١٥٨٠ ، ١٤٩	ش
القفر ١٤٠	الشبه ٧٩
فلائس ، قلسوة ١٣١ ، ١٥٩	الشباح ١٣٢
القولنج ١٤٣	شرج ١٣٠
ك	ص
الكعاب (دراهم) ٨٢	ضبة ١٠١
كيمخت ٨٧	ط
م	الطاغ (حطب) ٩٠ ، ٨٣
المرصد ٧٨	طاق ٨٧
المضرب ١٧١	الظفس ١٥٢
المضربات ١٥٨	الطيفورية ١٤٢
المطر ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤	ع
المقنة ٩٤ ، ١٠٢	عامل المعاون ٧٨
ملبن الباب ١٦٠	عراجين النخل ١٤٠
ن	غ
النبيذ ٩٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩	غلوة سهم ١٢٥
النمكسود ٨٦	ق
	قرطق ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨

فهرس الكتب والمراجع

أوردنا في هذا الفهرس أسماء الكتب والمراجع التي وردت في هذه الطبعة ،
وذكرنا السنين والمدن لبيان الطبعات وتحديدھا ، وجعلنا ترتيب المصادر
العربية أو المعربة أولاً ثم أوردنا بعدها المصادر الغربية . وقد اخترنا أن نذكر
هذه المصادر الأوربية بالحروف العربية تجنباً لصعوبة طباعتها فهي بالروسية
والألمانية والمجرية والفرنسية ، لذلك ترجمنا العناوين تعريفاً بما فيها ، والمطلعون
على اللغات الأجنبية يعرفون مظاهها ويحسنون الرجوع إليها في يسر وسهولة .

أ — المصادر العربية والمترجمة الى العربية (مرتبة على حروف المعجم)

- ١ — أحسن التقاسيم — للمقدسي (ليدن ١٩٠٦) ٧٦ ، ٩٨ ، ١٤٩
 - ٢ — إرشاد الأريب أو معجم الادباء — لياقوت الحموي (طبعة الدكتور الرفاعي بالقاهرة ١٩٣٦) ٧٦
 - ٣ — بغية الطلب في تاريخ حلب — لكمال الدين بن العديم (مخطوطة) ٧٦
 - ٤ — بلدان الخلافة الشرقية — تأليف لسترنج وترجمة فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) ٧٦
 - ٥ — البلدان — لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (طبعة ليدن ١٣٠٢ هـ) ٧٦ ، ١١٥
 - تاريخ ابن الأثير = الكامل في التاريخ
 - تاريخ ابن جرير = تاريخ الأمم والملوك
 - تاريخ ابن عساكر = تاريخ مدينة دمشق أو التاريخ الكبير
 - ٦ — تاريخ الأمم والملوك — لابن جرير الطبري (المطبعة الحسينية بمصر) ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١١٥
 - ٧ — تاريخ مدينة دمشق — للحافظ أبي القاسم علي بن عساكر (ضبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥١) ١٣٨
 - ٨ — تجارب الأمم وتعاقب الهمم بـ لمسكويه (طبعة آمدروز بمصر ١٩١٥) ١٩ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥
 - ٩ — تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء — للصابي (طبعة آمدروز بيروت ١٩٠٤) ١٩
- تكملة معاجم العرب = معجم لتكملة معاجم العرب

- ١٠ - تقويم البلدان - لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان بباريس ١٨٤٠) ١١٣
- ١١ - حدود العالم - (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠
- ١٢ - الحضارة الاسلامية - لآدم متز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥
- ١٣ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب - لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥
- ١٤ - ديوان أبي فراس الحمداني - (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤
- ١٥ - ديوان النابغة الشيباني - (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢
- ١٦ - الرحالة المسلمون في العصور الوسطى - تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧
- ١٧ - رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ١٤٢ ، ٩٤
- ١٨ - رحلة عبد اللطيف البغدادي - (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣
- ١٩ - رسوم دار الخلافة - للصابي (مخطوطة) ١١٧
- ٢٠ - صلة تاريخ الطبري - لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤
- ٢١ - صورة الارض - لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩
- ٢٢ - صور الاقاليم - للبلاخي (طبعة ليدن ١٩٣٧) ٥٤
- ٢٣ - الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير - للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨
- ٢٤ - الفخري في الآداب السلطانية - لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

- ٢٥ — الفرج بعد الشدة — تأليف أبي علي المحسن التنوخي (الهلال بمصر ١٩٠٣) ٣٨
- ٢٦ - فهرست الكتب والمخطوطات بمدينة مشهد (بالفارسية — طوس ١٣٤٥) ٤٧
- ٢٧ — الكامل في التاريخ — لابن الأثير (مصر ١٣٤٨ — ١٣٥٣) ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٠٤ ، ١١٩
- ٢٨ — مروج الذهب — للمسعودي (طبعة ده مينار في باريس ١٨٦١) ٣٤ ، ٧٤ ، ١٤٠
- ٢٩ — مسالك الممالك — للاصطخري (ليدن ١٩٢٧) ٥٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٦٩
- ٣٠ — المسالك والممالك — للجيهاني (ذكره ابن العديم في بنية الطلب) ٧٦
- ٣١ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للحافظ عليّ الميثمي (القاهرة ١٣٥٢ هـ) ١٢١
- ٣٢ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة — زامباور (ترجمة المرحوم الدكتور زكي محمد حسن وزملائه ، القاهرة ١٩٥١) ٧٤ ، ٨٠
- ٣٣ — معجم البلدان — لياقوت الحموي (طبعة وستنفلد في ليتسيك ١٨٦٦)
ذكرنا أرقامه في فهرس الاعلام فيحسن الرجوع اليه هناك باسم ياقوت
- ٣٤ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع — للبكري (القاهرة ١٩٤٩)
- ٣٥ — المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم — لأبي منصور الجواليقي (طبعة المرحوم أحمد محمد شاكر ، مصر ١٣٦١ هـ) ٨٢
- ٣٦ — مفاتيح العلوم — لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (القاهرة ١٣٤٢ هـ) ٩٧ ، ١٠١
- ٣٧ — النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ٦٨
- ٣٨ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — لشمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (طبعة مهران في ليتسيك ١٩٣٣) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩

٣٩ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق — للادريسي (مخطوطة) ٦٩

ب — المصادر الغربية والمجموعات اللغوية

(بنماوين ترجمناها الى العربية)

٤٠ — تعليقات المستشرق ريتز في مجلة المستشرقين الالمان (ليتسيك ١٩٤٢

بالجزء ٩٦ ص ٩٨ — ١٢٦) على طبعة زكي وليدي لرسالة ابن فضلان

٤١ — تعليقات المستشرقين بلاك وفراي ، على رسالة ابن فضلان طبعة زكي وليدي

(في مجلة بيزانطينا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة)

٤٢ — تعليقات المستشرق دنلوب على طبعة وليدي للرسالة (في المجلة الالمانية

دنيا الشرق ، شتوتغارت من الصفحة ٣٠٧ — ٣١٢)

٤٣ — تعليقات المستشرق تشاكالادي في المجلة المجرية (بودابست ١٩٥١ من

الصفحة ٢١٧ — ٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان)

٤٤ — ترجمة رسالة ابن فضلان الى الفرنسية^(١) مع خرائط الرحلة والتعليقات،

عن طبعة وليدي (بقلم ماريوس كانار في مجلة معهد الدراسات الشرقية ،

الجزائر ١٩٥٨ من الصفحة ٤١ — ١٤٦)

٤٥ — الثقافة في عهد الخلفاء — فون كريمير (بالالمانية ١٨٨٨) ٣٨

٤٦ — رحلة ابن فضلان^(١) — طبعة زكي وليدي طوغان مع التحقيق والترجمة

والدراسة (في مجلة المستشرقين الالمان ١٩٣٩ ، الجزء الرابع والعشرون)

٤٧ — رحلة ابن فضلان الى البلغار — ترجمة وتعليق المستشرق الروسي

كوفالفسكي مع مقدمة المستشرق كراتشكوفسكي وكل ذلك بالروسية ،

(موسكو ١٩٣٩ في ١٩٣ صفحة مع صور شمسية للمخطوطة)

(١) وصلنتي هذه الترجمة بعد طبع المقدمة ، في الوقت الذي وصلنتي فيه الصورة

الشمسية لطبعة زكي وليدي وتعليقاته على رحلة ابن فضلان ، فافدت من هذين العاملين
النفيين .

٤٨ — رحلة ابن فضلان الى الروسية ، وما ذكره الجغرافيون عن رحلات العرب الى روسيا منذ أقدم الازمان (نص بالعربية مع الترجمة والتعليق والدراسة باللغة الالمانية ، للمستشرق فرهن بطرسبورغ ١٨٢٣)

--- طبعة وليدي = رحلة ابن فضلان

٤٩ --- معجم لتكملة معاجم العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في باريس ١٩٢٧)

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

— معجم الملابس لدوزي = المعجم المفصل لاسماء

٥٠ — المعجم المفصل لاسماء الملابس عند العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في

امستردام ١٨٤٥) ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٣١

٥١ — الموسوعة الاسلامية أو دائرة المعارف الاسلامية — للمستشرقين (بالفرنسية

في ليدن ١٩١٣) ٦٧ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٣١ ، ١٧٠

فهرس محتويات هذه الطبعة

الصفحة

١ — مقدمة المحقق

٧

تمهيد

الفصل الاول — رحلة ابن فضلان

١٣

كتب الرحلة في العصر

١٨

حال العصر

٢٢

الوفد والخطبة

٢٩

أهمية الرحلة

الفصل الثاني — تحقيق الرسالة

٣٧

مؤلف الرسالة

٤٢

فصول من الرسالة

٤٧

مخطوطة الرسالة

٥١

طريقتنا في التحقيق

٦١

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

٥٥

سنة نماذج وألواح المخطوطة والرحلة

ب — رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الومبيرة في مدينة مشهد

٦٧

فاتحة الكتاب

العجم والترك

٧٣

في فارس

٧٦	في بخارى
٨٠	في خوارزم
٨٣	في الجرجانية
٩١	عند الغزية
١٠٦	عند البجناك
١٠٧	عند الباشغرد
	الصقالبة
١١٣	عند الصقالبة
	الروسية
١٤٩	عند الروسية
	الخزر
١٦٩	عند الخزر

ج — الفهارس

١٧٥	١ — فهرس الاعلام والقبائل والطوائف
١٨٧	٢ — فهرس المواضع والاماكن
١٩٣	٣ — فهرس الحضارة واللغة
١٩٧	٤ — فهرس الكتب والمراجع
٢٠٤	٥ — فهرس محتويات هذه الطبعة